جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية

مذكرة

لنيل شهادة الماجستير
في علم الاجتماع الثقافي

خطـــاب الحيـــاة اليـــوميـــة فـــي المقـــاهـــي

" دراسة سوسيوثقافية تحليلية في دلالات وأبعاد الخطاب

مدينة حمام بوحجر نموذجا

من اعداد الطالب
بوهـــة محمـــد

تشكيلة لجنة المناقشة :

اسم و لقب الاستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
بن بختي عمر	أستاذ محاضر أ	**رئيس**	جامعة وهران 2
سبع رابح	أستاذ محاضر أ	**مقررا**	جامعة وهران 2
مدكور مصطفى	أستاذ محاضر أ	**مناقشا**	جامعة وهران2
مهدي العربي	أستاذ محاضر أ	**مناقشا**	جامعة وهران2

الموسم الجامعي
2015./ 2014.

دوافع اختيار الموضوع

الدوافع الذاتية

1 - الاهتمام الشخصي بمواضيع اللغة وتحليل الخطاب

2 - ملاحظة ذلك الدور الذي تلعبه المقهى بالمنطقة كملتقى اجتماعي هام وفضاء تعبيري متنوع الموضوعات وكذا تواجد عدد هائل من المقاهي مقارنة بالمساحة والتردد الهائل عليها.

3 - محاولة رؤية وتفسير الوجه الاخر للمجتمع وهو يتكلم عن نفسه وعن الاخر.

الدوافع الموضوعية

1 قلة الدراسات الاجتماعية المنصبة في تحليل الخطاب **الفضاء**من اجل فهم المجتمع.

2 الاهمية البالغة التي يكتسيها فهم الخطاب الاجتماعي داخل مجريات الحياة الاجتماعية ومحاولة فهم مدى وعي افراد المجتمع بقضاياهم وقضايا مجتمعهم من خلال الخطاب وما هي القاعدة المؤسس عليها هذا الخطاب.

3 -ابراز القيمة الاجتماعية للخطاب كوسيلة للتعبير عن المعاش والوقع الاجتماعي.

المقدمة

مما لا شك فيه ان الاتصال بين الناس في اليوميات العادية هو مجال المعاينة الذي تنبثق منه المعاينات للموضوعات والقضايا التي تساعد على فهم الحياة الاجتماعية دون صرامة منهاجية، اذ أن الدراسة تقوم من التسليم بان الخطاب الذي يجمع في حوار ما مجموعة من الناس وفي مكان ما و الذي يجمع تلك الصور والحوامل السوسيو ثقافية التي تاتي في ارسالاتها هي بلا صنعة ولا تكلف. فانها في رايي هي التي تسمح بتوفير المقاربات الاوفر حظا في بلوغ حد عال من الكشف عن الابعاد الاجتماعية والانسانية للعملية الاتصالية اللاقصدية او اللارسمية كتلك الموجودة في المقهى التي تتمظهر فيها تلك الصور العديدة من الاتصال التي يستعملها الناس في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية.

إن اي واحد فينا وهو جالس بالمقهى يلفت انتباهه الى تلك الحلقات الحوارية حول طاولاتها كما تثير مسامعه في تلك الموائد المستديرة، الى ذلك الزخم الكبير من الخطابات كل حسب اهتماماته وانشغالاته الاجتماعية النابعة من استطلاع واع اوغير واع لما يجري داخل الحياة اليومية سوء كانت خاصة او عامة، تشمل قضايا ومشكلات المجتمع باسره . ان حقيقة هاته الجلسات تمثل لوحة اجتماعية ناطقة اوعرضا مسرحيا يكون ممثلوه كافة الفئات الاجتماعية وتكون خشبته المقهى بديكورها الخاص، و المغلق والمطبوع بفواصل ارتشاف القهوة ومختلف المشروبات فهي فضاء لمختلف اللقاءات، التي غالبا ما تطرح المواضيع فيها بتلقائية وبمواعيد تضرب او بغير مواعيد ان هذا المجال الحي فيه رصد كامل لليوميات، في كل حيثياتها المليئة بالاحداث التي تترك اثرها على الفرد والجماعة مفرزة جملة من التوجهات داخل النمط الاجتماعي بكل مرجعياته الثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها في مجال سائر العلاقات، والتي

تكرس لأنتاج ما يسمى بالايديولوجية الخطابية الفريدة التي تتميز بالعفوية الصادرة من شعور الفرد بانتماءاته في المجتمع وفق مستويات من التفكير و التاثر بافكار المحيط الاجتماعي، بما فيه من موروث ثقافي وتشكيلة لمختلف التصورات والتمثلات في رؤية الاشياء والتعبير عنه بشكل او باخر في اطار خطابي" تقليدي" له دلالاته المتفاوته والتي تتجلى من خلال الخطاب مكتسبة طابع التعميم ويكون ما يكون اقرب الى الميثالية منه الى محاولة ادراك الاسباب وفهم الظروف الاجتماعية التي تتضافر في تشكيل الظواهر العامه في حياة المجتمع وانتاجاته اليومية.

لذا فان البحث في الخطاب الاجتماعي الذي هو لسان حال المجتمع صار مطلبا رئيسيا في الوقت الراهن، داخل اي مجتمع بكل فاعليه الاجتماعيين الذين هم مصدر كل الانتاجات بما في الكلمة من معنى للانتاج،[1] بما في ذلك الخطاب المعبر عن هذا الانتاج بكل اشكاله داخل الكيان الاجتماعي، و الذي يثار حوله الكثير من الكلام و ردود الافعال الموجودة لدى الافراد و الجماعات كل حسب مكانته داخل البناء الاجتماعي ووضعيته في النسق الاجتماعي الذي يمثل فيه الصورة الاجتماعية التي يكملها صوت الافراد لتكون مكتملة تستدعي كل محاولات المهتمين في فهمها، بعد تحليلها ما دامت تأتي للتعليق على وضع معين تتشارك في التعبير عنه كل الافراد من مختلف الفئات و الطبقات وشتى مستويات التفكير في لحظات من التحاور و تجاذب اطراف الحديث، حول سائر المسائل اليومية بكل طبوعها وهذا ما نجده صراحة داخل المقهى لتحصيل اعباء اليوم و همومه فتصبح هاته الأخيرة محطة

1) A .Tourain : la Reproduction de la societe. edition Seuil PARIS 1973

اجتماعية يقف عندها المجتمع، للتأمل وملاحظة كل ما كان وما استجد في فسيفساء خطابية منوعة تتسم بالحرية التعبيرية يستحضر فيها كل مكبوت أو مسكوت عنه في الكلام الذي لا يكاد يختتم الا وهو ينبئ بالكثير من التطلعات والمقترحات في ما يجب ان يكون و التي تستشف ضمنيا.

ان تتبع صنع المجتمع بافراده و مؤسساته المختلفة المهام داخل ما يسمى بالدولة على هذا الاساس فان هناك مسارات كثيرة في توجيه الخطاب حسب مدى التاثير الذي يتركه الواقع ذاته في كم هائل و متشعب في مسائل على مختلف الاصعدة سياسية، اجتماعية، اقتصادية..... و ان عامل الاثر هذا يترك في ذوات الافراد صورة لا بد من التعليق عليها مع نظرائهم و ليس هناك من مكان ارحب من المقهى في انتاج وجهات النظر التي تتبلور في صيغ نقدية او تقييمية او مطلبية أوتحليليةلشتى التجارب الحياتية.

و لما كانت المقهى ميدانا لدراستنا و الخطاب موضوعا لها فانه ليس باليسير بما كان ان يجد الباحث لنفسه منطلقا علميا مؤسسا على ادوات تمكنه من اضفاء و لو شيء من الحكمة العلمية المفعمة بالذكاء، و حصر الاهتمام فيما تستحقه مثل هاته الدراسات لأنه كما يقره علماء الاجتماع انفسهم على ان دراسة المجتمع معقدة ومتشابكة لما في ظواهره من تغيرات تؤثر فيها عوامل شتى و ما دام هو ذاته في حركية دائمة لا يمكن توقيفها، و ان كان على هذا الحال من التعقيد فانه حتما يتبعه حال اكثر تعقيدا عندما يتكلم هذا المجتمع و يفصح عما بداخله وما يحيط به باللغة التي خلقها هو لنفسه، ليتحكم فيها فصارت هي التي تتحكم فيه و أصبح يستعملها للتعبير و التواصل و التخاطب بها مع الاخرين، فهي نابعة من صلب المجتمع بما فيه من تفاوتات وفروقات وانتماءات مختلفة انتجت هي بدورها لغات اخرى.

فللفقير لغته و للغني لغة ولأهل المدينة لغة و للبادية لغة و للسياسي لغة و..... و لكل لغته يتخاطب بها كل في موقعه و عندما تكون المقهى مكانا للتخاطب فهي حتما ستكون رصدا له طبيعة وسمات خطابية مميزة حول واقع ولحالة موجود فيها هذا المجتمع أو ذاك. و هذا خلال فترات زمنية ما و ان هناك اطار معلوم بتوافر موضوعاته الاجتماعية بما في الكلمة من معنى لدى كافة المتخاطبين، اذ يشتركون فيه سواء كافراد او جماعات هذا الاطار الذي يشكل مرجعية تختلف بها و من حولها الاراء والتفاسير والتطلعات للرؤية في الماضي والحاضر والمستقبل. من خلال شبكة حوارية مادته الخام هي الحياة اليومية او المعاش المعبر عنها بخطابات اخرى. تتميز بالتلقائية و العفوية حيث تتم عملية اعادة انتاجها بطرق خطابية متباينة المستويات هي الاخرى. و لعل القاسم المشترك فيها هو الموضوع الذي يثار حوله هذا الخطاب او ذاك اذ ما اعتبرنا ان لكل فرد في المجتمع تجربته الخاصة في معطياتها لأنه مهما يكن فان تجربة المجتمع هي من تجارب الأفراد وليس هناك شيء من العدم، اذ ما علمنا ان الواقع هو تلك الصورة الصامتة التي يتكلم و يعبر عنها الخطاب ولا شك أن النظرة تختلف الى هاته الصور، كل من زاويته فلا تصبح صورة واحدة بل صور كثيرة و بالتالي لا يمكن التعبير عنها بخطاب واحد كما سبق و أن ذكرنا بل بعدة خطابات زد على ذلك ان الخطابات هاته لا تكون الا حول خطابات اخرى، و عليه فإنه باختلاف الرؤى وتنوعها تختلف الخطابات فما أراه أنا من هذا المكان. ليس هو ما يراه غيري في مكان آخر أو حتى في نفس المكان و بالتالي فهو لا يعبر كما اعبر، و هذا كذلك وفق قدرات كل واحد فينا

و لكن دون الخروج عن الواقع و هنا بالذات يمكن ملاحظة ذلك التعدد في اطار الوحدة ما دامت لغة المجتمع هي الاقرب الى عقله و قلبه وان تجاوزها يعد خروجا من دائرة التاثير سواء كانت تتعلق

بالاسلوب الكلامي، علوا و نزولا او تعددها المعرفي اذ ان أهمية الخطاب الإجتماعي أو الجماهيري في أي حركة حضارية تنبثق من كونه اداة فاعلة للوصول الى المنجزات الحضارية التي بنبغي تحقيقها في الواقع و وصولا الى التحولات التي تريد ارسائها في المجال المراد تحقيقه.

كما أن دراستنا اتجهت الى خطاب الحياة اليومية لما ثبتت الرؤية أن هذا الخطاب له موضوعاته و خصائصه و لغته و علاقته بالخطاب الرسمي، إذ ان دراستنا انطلقت على اساس مجموعة من المسلمات النظرية التي تم استنباطها من قراءة التراث المعاصر في سوسيولوجيا الحياة اليومية و كذلك بالإستفادة من نظرية النسق الرأ س مالي العالمي استنادا إلى ان المقولات التي تطورت في هذا النوع من الدراسات يحتاج إلى الكثير من الفهم في ضوء الخصوصية التاريخية للمجتمع؛ باعتبار أن مجتمعنا ما هو إلا جزء و واحد من المجتمعات التابعة في محيط عالم كبير. كما ان تأسيس التصور النظري لهذه الدراسة في ضوء عدة قضايا هامة مؤداها أن خطاب الحياة اليومية لا ينعزل عن الاطار النظامي الدائر و المحيط به و ان الحياة اليومية و أطرها الضابطة يتعايشان بصرف النظر عن علاقات الخضوع و نطاق الفعل. و ان كانت الأطر النظامية للمجتمع تفرز خطابا فإن الحياة اليومية كذلك لها خطابها الخاص هي الأخرى الذي يعكس نمطا من الوعي و المعرفة.

و الذي يخضع هو الآخر لنفس التحليل العلمي الذي يخضع له الخطاب المكتوب كما يخضع كذلك لمستويات من النظم رغم بعده عن الضوابط المنهجية الموجود في نظيره الرسمي و المكتوب

فالخطاب من هذا المنطلق هو الوسيلة التي يسبر به حامله أغوار وأعماق الانسان ليعمل على تعديل بعض الحركات انطلاقا من التحدي الاجتماعي فيه للوصول الى غاية التحرك ومنطلق الحياة وفق منطلقات فكرية كان الخطاب النهضوي ابرزها بتناوله قضية النهضة والتجديد والسعي لاعطائها مضمون محدد وواضح[1]

1) محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر– دراسة تحليلية نقدية مركز دراسات لوحدة العربية . بيروت ط5 1994 ص 193

الاشكالية

ان موضوع الخطاب من المواضيع التي تكتسي اهمية بالغة في الكشف عن سمات المجتمع الثقافية بالدرجة الاولى؛ والتي تتحدد من خلالها الخريطة الاجتماعية المحددة المعالم. هاته الاخيرة التي تستوجب الخوض في محاور اساسية لا ينبغي، بأي حال من الأحوال التخلي عنها فهي منطلق لكل بحث اجتماعي. يحاول التفسير أو التحليل المبني على أسس الموضوعية بالعودة الى الواقع الاجتماعي الذي يشكل مرجعية لكيان متشعب الا وهو المجتمع .هذا الكيان المليء بالحركية المنتجة لمختلف العلاقات والتفاعلات ،و لئن كانت دراستنا له غاية في التعقيد فان دراسته و هو يتكلم، فذلك أعقد و لما كان الخطاب محمولا عن طريق مركبة اللغة التي تبقى دوما ظاهرة اجتماعية من ظواهر المجتمعات البشرية ،و نتيجة من نتائج الاتصالات و المعاملات في كل عصر

و عند كل جيل ينقل بها ثقافته، فهي ليست علاقة وسيلة بل هي بمثابة علاقة الروح بالجسد، اذ انها كيان شامل للتواصل يعكس فيها مستعملوها تراثهم وحضاراتهم وكل ما يختلج في صدورهم في اطار خطابي متنوع. و إذا كان هذا الخطاب رقما حاسما في معادلة المجتمع و اللغة و الثقافة هنا بالذات ادركنا إدراكا جازما أنه يتحتم علينا ايجاد اطار ملائم للطرح و المناقشة، التي تخص الخطاب و تجعله يتماشى مع ما نريد دراسته. و بالتالي نكون في منأى عن غياهيب مثل هذه المواضيع الجارفة و هذا بتحديد دقيق لصياغة معرفية تسمح بفهم مجمل المعطيات الواجب التقيد بها لفتح باب مناسب امام مختلف الانشغالات التي يعبر عنها الخطاب و التسيير الحسن للبحث باخذ فكرة واضحة عما

نصبو اليه. فكان لنا ان بينا اي خطاب نريد ،وفي اي مكان لذا فانه ليس من المعقول الالمام بجميع القضايا التي يطرحها المجتمع على نفسه باسلوب من الخطاب العارم الذي لابد فيه من وضع بعض المعالم وشد الاهتمام الى القضايا الاكثر حساسية التي تبدو ذات اثر بما تتركه من اطباع في الاوساط الاجتماعية، وهذا من بوابة المقهى كميدان يفيض بالخطاب المتنوع لما هو سائد وجار في المجتمع في ظل رؤية افرزتها مقتضيات الحياة اليومية وما يدور حولها.

هذا ولان فضاء المقهى يعد ملتقى اجتماعي، ومنبر هام لطرح هذا الخطاب حول ما يسمى بالمعاش الذي يتخذ من المقهى متنفسا يلجا اليه من اجل التواصل الخطابي المفعم بكل اساليب النقاش الذي يتميز بالعديد من الأبعاد والدلالات التي سنحاول الخوض فيها منطلقينا من السؤال المحوري ما هي دلالات وابعاد الخطاب اليومي الدائر في المقهى ؟ و بما أن الخطاب ليس له مركبة غير اللغة التي هي الوسيلة الاساسية في التواصل الذي يبحث في دلالاتها علم اللسانيات.

اذ لم تعد اللسانيات في الدراسات المعاصرة حكرا على المهتمين باللغة والاداب فحسب، بل تعدته وصارت ذات اهمية كبيرة في سائر العلوم الاجتماعية والانسانية وهذا لتنوع مجالاتها التي تنصب في حيز اللغة. هاته الاخيرة التي لطالما كانت مصدر قلق وغموض لدى المقبلين على الدراسات التي تعتمد على المحادثات والمقابلات او صبر للاراء. فهي تطرح الكثير من الاشكالا ت في كيفية التعامل مع هذه اللغة، فهل يتعامل معها كاداة مجردة وبالمعنى الصريح الذي جاءت لاجله بالالفاظ ومصطلحات وجمل تعبر عن غرض معلوم ام يتعامل معها على انها نصوص لها خلفيات وابعاد لجملة من المرجعيات والايديولوجيات المختلفة ؟ كل هاته الاسئلة لابد من الوقوف عندها في توجيه مثل هاته الدراسات التي

تستوجب النقد والتحليل اذ ثمة لغة ونص وخطاب الامرالذي يستدعي الكثير من الحذر في التعامل مع هاته الاطراف الثلاثة التي يكرس لها ما يسمى بالتحليل النقدي للخطاب وهذا في دلالاته السيميائية واللسانية وفق علاقة المرسل و المستقبل التي ينبغي ان لا يجهلها اي باحث مهتم وان هذا لايعني ابدا التاويل او المغالات بل هو مدعاة للموضوعية والحياد لانه ليس كل ما يقال هو كشف لحقيقة بعينها وليس كل خطاب صادر قد يعبر عن غاية وحيدة فانه ليس هناك لغة بل هناك لغات وليس هناك خطاب واحد بل هنالك خطابات هذا هو الشيء المهم الذي يتعين على اي باحث في مجال معرفته ان يعلمه وهذا بوضع الاحداث في اطارها الزماني والمكاني لا من حيث التغيرات الاجتماعية فحسب بل من حيث اللغة نفسها ما دامت وسيلة للتعبير عن الوقع فانها تتبعه طرديا، فكلما تغير وتطور تغيرت هي و تطورت معه انها بمثابة الكائن الحي له ظاهره و باطنه فظاهر اللغة هو تلك الالفاظ والعبارات وغيرها والتي نتفق حولها ونوظفها كلنا اما باطنها فانه يتجسد في تراكيبها وصيغها وجملها وكل غاياتها النصية التي يحملها الخطاب وتتمثلها اللغة سواء كانت لغة مكتوبة او محكية وهذا في كل علاقاتها الدلالية بين الجمل والعبارات وشتى الوظائف الكلامية والصيغ النحوية. والتي هي في الغالب من اختصاص التحليل الالسني الجديد او ما اسميناه سالفا بالتحليل النقدي للخطاب والذي برز كدراسة رسمية سنة 1991 والتي تاخذ على عاتقها مصطلحات التحليل النصي للربط بين بنية الخطاب والعلاقات [1]السلطوية داخل المجتمع وكيفية تناول وتحقيق هاته العلاقات وتجسيدها او مناهضتها من خلال مختلف التفاعلات الخطابية على اساس ان هذا التحليل يقيم همزة وصل بين مجالين/ التحليل اللغوي للنص، و العلوم الاجتماعية

(1) نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب. التحليل النصي في البحث الاجتماعي. ترجمة د طلال وهبة. مراجعة نحوي نصر: المنظمة العربية للترجمة ط1 بيروت 2009 ص 7

و عليه فهو يحلله باعتباره مستندا يجمع بين التحليل الاجتماعي و التحليل اللغوي و هذا ما نسعى اليه من خلال الربط بين تراكيب نصوص الخطاب و تيارات و احداث مجتمعية محلية كانت او عالمية و لما كان اختيارنا للمقهى كنموذج لإنتاج الخطاب الذي يزخر بالنصوص المتنوعة المصادر و السياقات بكل ابعادها الاجتماعية وسيماتها اللغوية و التي هي منطلق للتحليل والاستقراء.

و بما ان اللغة جزء هام من الحياة الاجتماعية فانه حري بنا عدم اهمال البعد الاجتماعي فيها وان التسليم بهاته العلاقة المنطقية والجدلية في ذات الوقت بينها و بين عناصر الحياة الاجتماعية الاخرى التي تجعل من البحث و التحليل الاجتماعي ياخذ في الحسبان دائما اللغة على اعتباره وسيلة وغاية في نقس الوقت اذ ان التركيز على اللغة واستخدام شتى اشكال التحليل في الخطاب هو احدى الطرق المنتجة في البحث الاجتماعي وليس اختزاله باللغة [1] ولا حتى اعتبار كل شيء خطاب فليس الامر كذلك. فما تحليل الخطاب بالمعنى المذكور سوى احدى استراتيجيات عديدة في التحليل الموجود في اشكال اخرى من التحليل المنطوي على البيئة والثقافة وغيرها. و الا فما فائدة هذا التحليل ان كان مجردا عن الحياة اليومية، و لهذا التحليل صيغ كثيرة وتقسيمات أساسية فمنها ما يعتمد على صيغة التحليل النصي المفصل و هو ذا نزعة نصية محظة و منها ما يعتمد و يستند الى النظرية الاجتماعية

التي تنزع الى عدم تحليل النصوص انها مسالة منهج يستدعي التوفيق المكرس لمستوى الفهم فمن

---

(1) المرجع نفسه ص20

ناحية انه تحليل للنصوص يريد ان تكون ذات شان من منظور التحليل العلمي الاجتماعي اذ يجب ان يرتبط بالمسائل النظرية التي تخص الخطاب و غاياته البنائية الاجتماعية CONSTRUCTIVE

و من ناحية أخرى لا يمكن التوصل الى فهم حقيقي للنتائج الاجتماعية للخطاب من دون النظر عن قرب في ما ينتج عندما يتكلم الناس و يكتبون داخل هذا المجتمع او ذاك.

اذا فان تحليل النص هو جزء اساسي من تحليل الخطاب لكن تحليل الخطاب لايقتصر على التحليل اللساني للنصوص فحسب، بل هو في حد ذاته تحليل اجتماعي على اعتباره نتاج مجتمع ولا يخرج عن نطاقه الراسخ و النابع من الممارسات الاجتماعية الخلاقة للتفاعلات الخطابية ANALYSE INTERDISCURSIVE [1] و أن هذا التواصل الفعلي و اللغوي المنبثق في شبكة هائلة من العلاقات تعطى للخطاب مواصفات خاصة يمكن من خلالها تمييز هذا الخطاب عن ذاك لدرجة يمكن التصنيف فيها فنسمي هذا خطاب سياسي و ذاك ديني و ذاك ايديولوجي.....

و ان كان مسعانا في هذا يتعدى بؤرة التصنيف ليرتقي الى البحث في المعاني و الابعاد و الدلالات الخطابية بوصف الخطاب ظاهرة اجتماعية او بالاحرى ممارسة اجتماعية ارستها الحياة اليومية واحتضنها المقهى.

1- المرجع نفسه ص21

الاجراءات المنهجية

تعد الدراسة الراهنة في اطار الدراسات السوسيولوجية الوصفية التحليلية التي تعتمد على الاستفادة من النتائج الميدانية و ما كشفت عنه الكتابات النظرية و الدراسات السابقة في التناول و التعامل مع موضوع البحث الذي بين ايدينا.

-الاساليب المنهجية للدراسة

مما لا شك فيه عند الباحثين في العلوم الاجتماعية هو اشتراط ان يرتبط البحث ارتباطا وثيقا بموضوع و اهداف البحث كي يجيب على مختلف التساؤلات المحورية التي يطرحها و بناءا عليه فقد اخذت الدراسة الحالية بمبدا التكامل المنهجي الذي يرتكز على إمكانية الاستفادة من اي من الأساليب المنهجية المتاحة لطالما تكون ملائمة و محققة لغاياتها البحثية و لقد ارتاينا في **الملاحظة بالمشاركة** التقنية التي تتناسب مع أمثال هذا البحث إضافة الى تقنية أخرى تبدو جديدة و هي : **صحيفة رصد المواقف** كوسيلة مكملة لما يرتضيه البحث .

العينة الميدانية

لقد كانت عينتنا في هذا البحث عينة تم اختيارها عشوائيا و بشكل عرضي من أولائك الذين يختارون المقهى فضاءا لقضاء اوقات فراغهم، و لقد تم اختيار حالات هذه الدراسة بهذا الشكل الذي لا يشترط التمثيل العمري فكل الفئات العمرية ممثلة داخل البحث باستثناء العنصر النسوي وطغى العنصر الشباني فضلا عن تنوع الحالات العملية و المهنية لهؤلاء ما بين متعطل و مشتغل سواء كان عملا حكوميا او

غير حكومي، مؤقتا او دائما، و كذا التنوع في كل من الحالات الاجتماعية والمستوى التعليمي / المستوى الاقتصادي و هذا قدر الامكان. زد على ذلك مراعات العامل الجغرافي (البيئي) . اذن فكما هو منوه به فميدان الدراسة كان في مدينة صغيرة بغرب البلاد(حمام بوحجر) و التي تتميز بطابعها الريفي والسياحي و من جانب اخر فقد طورت الدراسة طريقتها المنهجية في تحليل و معالجة البيانات في ضوء مدخلها النظري الذي تبنته استنادا الى الاسلوب التحليل الكيفي على اساس المزاوجة بين البحث في المضمون الكامن واستيعاب النص الظاهر على مستويين متلازمين.

المستوى الاول : يتجلى في تحليل ما هو نابع من منتجي الخطاب اي المبحوثين وما يعلنون عنه صراحة و على منوال محدد تجاه موضوع الدراسة المتمثل في طبيعة الخطاب ذاته و الاهتمامات الواضحة بدون اللجوء الى تاويل معطيات الخطاب.

المستوى الثاني : فهو يتجلى في البحث عن دلالات للتعبير عن خطاب اخر في الواجهة الاجتماعية الا و هو الخطاب السياسي اذ وجدنا انفسنا مجبرين في تحديد بعض المواقف التعبيرية امام ما يسمى بالخطاب الرسمي الصادر من الطرف المؤسساتي للدولة و هذا في مجال مقنن مادام الخطاب العادي ما هو الا ردود افعال حول قضية او وضعية لما في المجتمع و هذا فقط بغية بيان بعض اوجه الالتباس و الغموض المتضمنة في هذا الخطاب و لقد تعمدنا ذلك لخشية الاستفاضة في التاويلات الخطابية بقصد أو دون قصد و بالتالي وضع نطاق واسع للحيادية و الموضوعية العلمية في عرض التوجهات سواء من المخاطب او صاحب الخطاب. كما سعينا قد المستطاع الى تحليل ما يتفهمه المستمع البسيط في الخطاب الموجه او المتداول عليه، و هو ما يعني في هذا المقام الاهتمام بتحليل مختلف الرؤى في كيفية معالجة القضايا ليس

على نحو ما يوضحه الخطاب نفسه بل على نحو ما يدركه المبحوث نفسه من اهتمامات بما يدور حوله من تلك القضايا والانشغالات وكيفية التعبير عنها، و يلاحظ ايضا في هذا الشان اننا عند عرضنا لمحمل الاراء الميدانية حول محاور الدراسة المختلفة عادة ما كنا نلجا الى التدليل على توجه او موقف معين تتبناه فئة ما من حالات الدراسة من خلال تكرار بعض العبارات والالفاظ بوصفها الاقوى دلالة والأكثر ايجازا في التعبير عن شتى المواقف.

على هذا الاساس وجدنا في **صحيفة رصد المواقف** وسيلة بحثية مكملة ومدعمة والاكثر تماشيا في تحقيق اهداف البحث وكذا الاجابة على تساؤلات اساسية. خاصة اذ ما تبنينا اسلوب التحليل الكيفي اذ تشير الصحيفة الى حالة من التفاعل االلفظي بين شخصين او اكثر في موقف المواجهة الخطابية داخل المقهى ، بهدف جمع بيانات محددة عن الموضوع محل الدراسة وفي السياق ذاته فقد حرصنا ان نضفي على التقنية هاته طابع الاستماع لشتى المناقشات والحوارات ثم تدوين خلاصتها في اخر جلسة الخطاب وهذا بعد ان يترك للمبحوث الحرية الكاملة في ابداء وجهات نظره ازاء رؤيته للواقع وقضاياه المعاشة بل حتى امكانية اضافة ابعاد اخرى لم تكن واردة في محورالنقاش، طالما كانت ذات فائدة، كما ان تقنية الصحيفة اعطتنا لمحة شمولية في انتاج الافكار العامة للخطاب و تحليلها وكذا تهيئة الفرصة لنا للمشاركة العادية وهدا بشكل اقرب ما يكون الى الاستعلاماتية مع اشخاص لا نعرفهم في بعض الاحيان من اجل ازاحة كامل الشكوك او التحفظات عند المتخاطبين جراء جلوسنا معهم حتى و لو ان فضاء المقهى ليس به هكذا مخاوف للادلاءات الصادقة والحقيقية، كل حسب موقعة و التي بامكانها التوافق مع قناعاتهم الذاتية. اذ ان المكان يقتضي فيه الامر مخاطبة هؤلاء بالعامية الدارجة والتي هي غالبا لغة المقهى وهذا كله

من أجل استقاء جميع النقاط المتضمنة في نطاق كافة محاور البحث التي لم تنحصر في محاور معينة مادام الخطاب المراد دراسته هو خطاب عادي يومي

و اجتماعي و الذي يشكل طرحا لكامل المسائل و الانشغالات النابعة من الممارسة الاجتماعية

و مخلفاتها و رغم كل هاته الصعوبة التي وجدناها في هاته الشمولية الا انها كانت دائما تفرز وجود بعض النقاط البحثية التي كانت محل استثمار لخدمة البحث اذ كانت موجهة لنا في استنباط بعض الدلالات و الابعاد الجديدة المثرية لموضوع البحث في اطار ما نريده نحن من خلال الخطابات

و تجلياتها الصورية الصادرة من هذا المبحوث او ذاك

كما تجدر الاشارة في السياق ذاته الى انه تم تطبيق اداة الدراسة المشار اليها بصفة تجريبية قبل تعميمها او ما يعرف بالاختبار المسبق و هي اداة على ما اعتقد نعتز بسبقنا فيها و هذا بدراسة حالة صغيرة من مجمل العينة، و هذا باختبار جزئي من اجمالي العينة وذلك بقصد استبعاد الجوانب التي لا تمثل اهتمامات العامة الا نادرا أو تلك الغير المفهومة و التي تتطلب ابداء الراي فيها بتوافر قدرا معينا من المعيارية الثقافية و التي قد لا تكون متوافرة لدى كافة فئات و شرائح المجتمع بنفس القدر و من ثمة الاستقرار من هذا كله على بلورة بعض المضامين التي تتكرر دائما و تشهد الكثير من التناقضات حول القضية الواحدة و بالتالي قد يجد الباحث فيها صعوبة في تشكيل صورتها النهائية واستنباط دلالاتها.

الفرضيات

*1- يتجه الخطاب اليومي في المقهى في بعده الدلالي الى محاولة تفسيير الواقع الاجتماعي بين الافراد الذي لم يعبر عن حقيقته الخطاب الرسمي فهو يكتسي طابع نقدي متباين ومؤسس على قاعدة تحددها المكانة الاجتماعية داخل النظام الاجتماعي للمخاطب في اطار مرجعية ثقافية معينة غالبا ما يؤثر فيها عامل المكان او البيئة الاجتماعية بشتى التصورات والتمثلات التي تنتج مختلف انواع الخطابات بصورة يمكن استشفافها في التركيبة المجتمعية نفسها و من جماعة الى اخرى كما هو واضح في فضاء المقهى و بتعبير اخر فان تحليل الخطاب في هذا المقام يستوجب بالضرورة فهم النسق الثقافي السائد على اعتباره بعدا له دلالاته الخلاقة لمختلف الممارسات فعلا و قولا والتي هي بدورها تصنع موضوع الخطاب، اذ يعد الخطاب في المقهى ذا بعد ثقافي بدلالات نقدية فيها الكثير من الجدل

و التناقض النابع من الحياة اليومية و الواقع المعاش.

*2- ان تحليل الخطاب الاجتماعي اليومي في المقاهي يتسم بطابع دلالي فرداني يثير المتخاطبون فيه اهتمامات شخصية يريد من خلاله كل فرد استدراج من يخاطبهم لغاية مصلحية محضة مبتغيا من وراء ذلك الاستفادة من تجارب غيره من اجل حل بعض مشاكله او تحقيق بعض من مآربه لاننا لطالما نجد عل طاولة المقهى ذلك الفرد الموجه للخطاب و مواضيعه اذ أن هذا المحور يكرس لنية مقصودة اذ تتحول ابعاد الخطاب الى الاستغلال الفرد للجماعة بوعي او دون وعي وهذا مؤشر واضع بمدلوله الاقتصادي المادي الذي يغيب فيه الضمير الجمعي، فهو ذا دلالة نفعية مصلحية ومطلبية.

*3- الطابع الاجتماعي المعمم يعطي للخطاب في المقهى بعدا دلاليا سرديا من خلال التعليق الحكائي لاحداث اجتماعية ونفسية عاطفية ومختلف التجارب التي تميز الحياة اليومية وهذا باعادة تصويره خطابيا في اطار يطغى عليه القالب الساخر كموقف هروبي من الهموم والمشاكل.

لمحة تاريخية عن المقهى

ارتبطت كلمة مقهى بالقهوة، و هذا يقودنا عن البحث عن سر هذا التزاوج بين المقهى و القهوة، و اين بدا اول مقهى في التاريخ حتى اصبحت عادة شرب القهوة مهيمنة على قطاعات كبيرة من شعوب العالم، في البيوت و المنتديات و اماكن العمل و اصبح التفن في صناعتها وتنوع اشكالها احد الاسباب لاجتذاب المزيد من عشاقها لارتياد المقاهي وصار شرب القهوة مرتبطا ببعض العادات والتقاليد. ففي بعض البلاد العربية يقدمونها مرة في الاحزان والبعض الاخر يضيف اليها السكر في المناسبات السعيدة، اما في البادية فإن عادة القهوة اصبحت جزءا مهما وملازما لحياة البدو في حلهم وترحالهم.[1]

(1) ALraa blogsport.com

- ولقد شكلت المقاهي علامة بارزة في المجتمعات ومفرد هام من مفردات الحياة الاجتماعية فهي اشبه ما تكون بجامعة شعبية، يتحدد مستواها بمستوى مرتاديها ومستوى الخدمة التي تقدمها، وقد تلونت بين الراقية والتقليدية فهي عند البعض ملاذ للهروب من هموم الحياة ومشكلات الاسرة و العمل و عند البعض مكان لتجمع الاصحاب و متنفس لاخراج كل مكنونات الانفس ومناقشة تجارب الحياة، ولدى البعض هي جلسة ثقافية وفنية،كما عند اخرين اشبه ما تكون بمنتدى سياسي. اذ تشكل ارشيفا حيا في مجملها لتاريخ اي شعب، ولقد فرضت المقاهي نفسها بقوة على الصعيد الاجتماعي لما صار يتوافد عليها الكبير والصغير – الغني والفقير- والعامل والعاطل- والمتعلم وغير المتعلم- ولقد تصدرت المقاهي الاولويات لمن وجدوا في الجلوس على طاولاتها نكهة خاصة في لعب الورق او الدومينو كملاذا جديدا لقضاء ساعات اليوم ونسيان اعباء الحياة.

ولعل المكان المتواجدة فيه هاته المقاهي هو ما يعطيها خاصية مميزة، اذ غالبا ما توجد هاته المقاهي على قارعة الطريق وحدود الشوارع الحية والمليئة بالاصوات مما يعطيها طابعا حيا للاستماع والتأمل معا، فيما يجري داخل هذه التجمعات اليومية.

و لان ايقاع الحياة السريعة والضغوطات اليومية اصبحا يؤثران بشكل او باخر على العلاقات الاجتماعية، وتسارع عجلة الحياة وغلاء الاسعار وتغير الاوضاع وضيق الخناق فلم يجد الافراد مكانا امثلا من المقهى وبعيدا عن اجواء المنازل، اذ تصبح المقهى نافذة على الحياة يناقشون من خلالها الهموم والمشاغل في اطار اجتماعي. و البداية كانت لقضاء وقت الفراغ اذ صارت ملجا لا يمكن الاستغناء عنه، فالتجمع في البيوت ليس بنفس المتعة من الجلوس عل ضفاف الطريق- حتى ولو كانت امكانيات المقهى

بسيطة، حيث هناك المشاهدة المباشرة للعالم الخارجي والحركية الدائمة. فهناك مقاهي يقتصر ترتادها على نفس الوجوه كل يوم، و اغلبهم من الاهل والاصحاب مما يسمح باخذ كل الاريحية في الحديث والتعليق بصوت مسموع بحرية كاملة و لكل ما يخطر بالبال من حوارات- و حوادث.

و اما عن تاريخ المقاهي منذ القرن الخامس عشر، ثم استلهمها الغرب من الاتراك ، فانتقلت الى البندقية ثم باريس و لندن ثم روما. فالاوروبيون عرفوا المقهى لأول مرة بعد عام 1683م عندما انسحب الجيش التركي و انهى حصار فيينا عاصمة النمسا، و ترك خلفه كميات كبيرة من القهوة التي كان يستخدمها الجيش التركي، و قد بقي في النمسا احد الجواسيس الذي كان يعمل للاوروبيين بين الترك، و لما خيروا الجاسوس في نوع المكافاة التي يطلبها لانقاذهم من عدوهم اختار القهوة و اعطوه معها مبنى كبيرا كان هو اول مقهى في النمسا و اطلق عليه "بلو كيف" أي الزجاجة الزرقاء.[1]

و يقال ان اول مقهى اقيم في ميناء فينيسيا الايطالي عام 1645م، ثم بدات بالانتشار في جميع انحاء اوروبا. و في القرن التاسع عشر بدات المقاهي بالانتشار بفيينا او ما يسمى ببيوت القهوة (او قصر القهوة) التي صارت تقدم لعامة الناس بعد ان كانت مقتصرة على افراد الطبقة العليا، و معظم هذه المقاهي عبارة عن مبان فخمة او قصور حقيقية بعضها مخصص للادباء و الاخر للموسقيين

و اخر لعلية القوم. و اشهر مقاهي فيينا مقهى "لاندمان " الذي عرف ابان ايام الحرب الباردة و كان ملتقى الجاسوسية الذي عرف ابان ايام الحرب الباردة و كان ملتقى الجاسوسية بين المعسكرين

---

(1) تاريخ المقهى Ejabat google.com

وحاليا اصبح المقر المفضل للسياسيين و الصحافيين لموقعه الممتاز قرب مقار الاحزاب لذلك يعتبر من انسب الأماكن لعقد المؤتمرات الصحفية، و يعود افتتاح هذا المقهى لعام 1873م و انتشرت بعدها المقاهي في شوارع المدن الاوربية و كثيرا ما اضطرت السلطات الاوربية الى اغلاق تلك المقاهي لمنع التجمعات و النقاشات الحادة التي كانت تدور فيها و التي كثيرا ما تنتهي بمظاهرات صاخبة ضد الدولة، و رأت السلطات في تلك المقاهي اوكارا لتدبير المؤامرات و النشاطات المشبوهة. وقد اراد شارل الثاني ان يغلق المقاهي في انجلترا لانها مصدر للمشاغبات السياسية و مركز لتحريض الشعب ضد الحكومة و منبع للحركات المخلة بالامن. و لقد تسببت المقاهي التي لم تكن قاصرة على شرب القهوة بازعاج الامراء و الملوك الذين نظروا اليها على انها اوكار السفلة و الرعاع على انفاق اموالهم و اضاعتها، فامر ملك بافاريا باغلاقها، و في باريس كانت المقاهي تجمع في البداية المجان فتتعالى اصواتهم و يتسببون بالضجيج ،فازدراها المترفون و العلية ،ثم ابتكر احدهم مقهى خاصا لهذه الطبقة، و كان روسو يحضر هذه المقاهي و يخوض في نقاشات مع بعضهم، و كتب مرة عن عجرفتهم و لقد اسهمت المقاهي في رفع الوعي للمجتمعات الغربية. و تفاهتهم فتالبوا ضده و وشوا به بعد كلمات فاه بها، تنال من الكنيسة و الملك فهرب من فرنسا و خصوصا في باريس و لندن، ففي بدايات القرن الثامن عشر بلغت مقاهي لندن اربعمئة مقهى، و في تلك الفترة كانت القاهرة قد شهدت افتتاح اول مقهى، و اضطر الفرنسيون في فترة احتلالهم لسورية ان يغلقوا مقاهي دمشق لانها كانت مركزا للتحريض ضد الاحتلال و المقاهي التي نرتادها في بلادنا لا يمكن ان يكون لها التاثير نفسه الذي كان للمقاهي في اوروبا في القرن

الثامن عشر ، لان وسائط نقل المعرفة و التاثير الحديثة احدثت انقلابا كبيرا، و تسببت بانحسار دور الصحافة المقروءة فضلا عن غيرها، لكن المقاهي في الاساس كانت للترفيه و التسلية و التخفيف من ضغط العمل و مكانا للتعرف و الثرثرة ، و نقطة للالتقاء و مكانا لاصطياد الادباء و المثقفين و الفلاسفة، أما اليوم لم يعد للمقاهي تلك الادوار ،مع ان ما يقام فيها من انشطة ثقافية و قراءات للكتب لا يمكن ان نجد بعضه في مقاهي الشرق.

و قد عرف العرب المقاهي منذ عام 1750، حيث انتشر فيها شرب القهوة و اصبحت فيما بعد ملتقى الاكابر و انتقل اليها الحكواتي ، و تطورت مع العديد من الاحداث و التحولات السياسية التي مر بها الوطن العربي، صورة المقهى من حيث كونه منبرا لكل الافكار و مختلف الاراء، و في بعض البلدان العربية اغلق العديد من المقاهي في فترات الاضطرابات السياسية، كونها كانت منبرا لحشد الراي العام.

و في اول ظهور لهذه المقاهي كانت بلدان مثل مصر و العراق و بلاد الشام مسرحا لنشاة المقهى الثقافي في الاربعينيات من القرن الماضي،كما نشأت تباعا الكثير من المقاهي في دول الخليج العربي

و فلسطين و الاردن، اضافة الى الكثير من الصالونات الثقافية و التجمعات الادبية التي استطاعت ان تكون محضن لحركة وعي عربي في مختلف المجالات، و مركز اشعاع ثقافي و فكري.

و المقاهي كانت تعطي طابع الخصوصية و العموم في ان واحد، فهي تسمح للفرد بالانعزال و لمجموعة محددة دون غيرها بالالتقاء و هي في الوقت نفسه مفتوحة للوجوه الجديدة و الفضولين و المعجبين

و كسب الاتباع، لهذا كانت المقاهي تجمع الى القهوة اشياء اخرى يتلهى بها الزوار الشطرنج، و في الشرق كان الحكواتيون يعمرون ليالي المقاهي و من منا ينسى شاعر الربابة المطرب الذي يجلس في المقهى يقدم فنه.

و في بداية القرن العشرين كان المقهى او "الشاي خانة" وفق التسمية التركية و مكان تجمع الرجال في المدينة للتسلية أولا و تبادل الهموم ثانيا و مكان للتجمع و الحوار و في تلك المقاهي ظهرت الأشكال الأولى للفرجة البصرية من الحكواتي و من ثمة استقبلت المقاهي في بعض البلاد العربية العروض المسرحية مثل عروض ابو الخليل القباني و العروض السينيمائية الصامتة ثم الناطقة فكان المقهى بذلك بمثابة المنبر الثقافي لذلك العصر، و قناة الاتصال الاساسية قبل ان تعمر المسارح و تبنى دور السنيما ، وقبل اكتشاف التلفاز تراجع الدور الثقافي و الفني للمقهى فترة من الزمن، الى ان بدات بعض المقاهي تستعيد شيئا من وظائفها المهدورة و فعاليتها الاجتماعية الضائعة، و تحولت بعض مقاهي دمشق الى منتديات للثقافة و الفن على شكل "الكافيه الغربية " بالتوازي مع تقديم المشروبات و قد تكنت اغلب المقاهي بمختلف التسميات.

و في منتصف خمسينات القرن العشرين ازدهرت المقاهي الشعبية و تطورت فاعلية الجلوس فيها الى نمطيات انسانية في مجالات متعددة منها الفنون الموسيقية و الغناء حيث اتخذ مطربو المقامات و ما دونهم من المقاهي ملاذا لفعالياتهم الفنية، فيما اتخذ الادباء و الصحافيون المقهى مركزا لنقاشاتهم و قراءاتهم فصار لكل مجموعة اصوات ادبية او فنية مقهى خاص تتردد عليه فئة محددة دون غيرها. باستثناء الاستضافات التي قد تحصل بين الفينة و الاخرى و لقد كان التقليد يقضي بقيام الفئة الفنية او الادبية

الاحتفاء بالضيف الزائر من خلال تكريس الحديث و الخطاب في تلك الجلسة معه دون غيره، و ظهر مصطلح المقهى الثقافي حيث يجتمع المثقفون و الفنانون في هذا المكان و لقد تجاوز الجلوس على هذه المقاهي احتساء فنجان من القهوة الى تعاطي الفكر و الثقافة حتى باتت اشبه بالمنتديات الادبية و الصالونات الفكرية التي تضم مختلف شرائح المجتمع. و يعد المقهى الثقافي احد صور التطور و التغير التي طرات تاريخيا على الصورة النمطية للمقهى الذي كان دخوله عيبا من وجهة نظر البعض حيث يرتاده العاطلون عن العمل و ارباب السوابق الى ان اصبح قبلة رجال الاعلام و الفكر، و الادباء و الشعراء فصارت هناك الكثير من المقاهي في العديد من الدول العربية التي تعرف بنوعية مرتاديها فهذا مقهى الصحافيين، وهذا للادباء و الشعراء وذاك للفنانين و غير ذلك و تعد مقاهي القاهرة الثقافية هي الابرز من حيث شهرتها عربيا و ارتباطها بكتاب و ادباء كبار مثل مقهى(ريش) الذي كان يحضر فيه نجيب محفوظ و يتشابه اسمه مع اشهر مقاهي باريس التي مازالت قائمة الى الان و تسمى (كافيه ريش) و كما هوالحال بالقاهرة توجد في مدن بترت بتونس و قسنطينة و وهران بالجزائر الدار البيضاء بالمغرب مقاه تحمل اسم ريش يرجع اسمها الى اسماء مقاهي القاهرة و باريس في كونها تقع في احد الميادين الكبيرة و بنفس طراز المعمار و الديكور و الوظيفة ايضا.

و قد استطاع المقهى على مدار التاريخ و معاصرته للعديد من الاحداث ان يلعب دورا هاما و اشكال عدة حتى صار القاعدة التي تنطلق منها الحركات الوطنية، فقد كان المقهى مكانا تكتب فبه المنشورات و المطبوعات اثناء ثورة 1919 التي قادها سعد زغلول و على نفس المقهى جلس الرئيس جمال عبد الناصر يحتسي القهوة و يعد لدوره لثورة يوليو كما كانت جزءا من حياة شاب عراقي جاء يدرس بالقاهرة و هو

الرئيس الراحل صدام حسين و كان يراس المكان الذي يتجمع فيه اللاجئون السياسيون من امثال الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي و قحطان الشعبي و عبد الفتاح اسماعيل رئيس جمهورية اليمن الشعبية السابق.

فعلاوة على انه يعد من اقدم مقاهي القاهرة، حيث يرجع تاريخ انشاءه الى عام 1797 من المقاهي الثقافية مقهى الفيشاوي الشهير بحي الازهر العريق بالقاهرة و هو الاكثر شهرة و بريقا بفضل اقبال رواد في مختلف المجالات من امثال جمال الدين الافغاني و الشيخ محمد عبده و الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة و الرئيس اليمني علي عبد الله صالح و الرئيس السوداني الاسبق جعفر النميري و عمرو موسى الامين الاسبق للجامعة الدول العربية الذي اصطحب معه عددا من وزراء الخارجية العرب،

و الدكتور بطرس غالي بطرس الامين العام الاسبق للامم المتحدة و العالم المصري الحائز على جائزة نوبل الدكتور احمد زويل. ويمكن القول ان المقاهي الثقافية لعبت دورا هاما في اثراء الحياة الفنية و الادبية حيث كانت مركزا للعلوم و الانشاد الشعري لرواة الملاحم الشعرية و الانشاد الديني و المدائح النبوية في العديد من المناسبات الدينية كما تجدر الاشارة الى الشيخ جمال الدين الافغاني يلتقي مع تلاميذه و مريديه في مقهى البوستة بميدان العتبة الخضراء بالقاهرة كما اشتهرت المقاهي بحي الازهر بالعلم لما كانت تستقطبه من علماء و مشايخ و كانت تعد اسواقا لبيع الكتب و كان الخطاطون و الناسخون يتخدونها مكانا مفضلا لهم قبل اختراع الطباعة يحترفون فيه حرفة نسخ الكتب الدينية و الادبية و يكتبون المصاحف، و قد ظهر بها عدد من الموهوبين في الرواية و القصة القصيرة و الشعر

و شهدت المقاهي بشكل عام تطورا كبيرا و باتت تساير متطلبات العصر فمن محال كانت مقتصرة في بداية ظهورها على تقديم المشروبات الى اماكن تساير العصر و تقدم الى جانب المشروبات خدمة تصفح

الانترنات و تسمي نفسها (نت كافييه) تماشيا مع العصر و من مركز للتسلية و الترفيه و تدخين الشيشة و لعب الكوتشينة و العاب الورق يرى الكثيرين من الاجيال الشابة في المقهى ملعبا رياضيا لمتابعة مباريات كرة القدم على الهواء مباشرة و برلمانا حرا لتبادل الاراء و المعلومات بين الاصدقاء وايضا شهد المقهى لديهم تحولا كبيرا فصار مركزا لعقد صفقة البزنس و لقاءات رجال الاعمال و السماسرة، كما اصبحت وجهة المدونين و نشطاء الانترنت التي صارت لها مقاهيها الحديثة التي انتشرت في المدن الكبيرة انتشارا هائلا فاق ما حققته المقاهي الشعبية متفرددة لكونها تستقبل زبائن من انواع خاصة لايلتفت الحدهم الى الاخر بعيدين عن الثرثرة او لعب الدومينو و ما شابه ذلك فرواد مقاهي الانترنيت صامتون منعزلون داخل مكعبات صغيرة متعاملين مع شاشات صغيرة وفق حالات مزاجية خاصة وفق تاملات طويلة بالتحديق لما تظهره هاته الشاشات، فبعدما كانت المقاهي التقليدية تقتصر على الشبان صارت كذلك قبلة للفتيات والعائلات. وفي الاخير يبقى ان الجميع يتفق على ان المقهى هو المقهى بسواء بطقوسه القديمة او معطياته الجديدة اذ لاتزال هناك مقاهي محافظة على اصالتها منتشرة حتى في اصغر القرى مستقطبة شرائح واسعة من الناس من مختلف الاعمار مثلما هو حال مقاهينا التقليدية التي يزيد الاقبال عليها يوما بعد يوم ولساعات طوال.وبين هذا وذاك صارت المقاهي في مجتمعنا تاخذ بعدا اجتماعيا جديدا سبب مشكلات اجتماعية غيرت من نظرة المجتمع للمقهى بعد ما صار الخروج اليها حتى ولو بدون غاية.[1]

(1) المرجع نفسه ص

المقهى كفضاء للخطاب الاجتماعي

ان الرؤية الى المقهى كفضاء اجتماعي له طبيعته المكانية والتي تمثل حيزا مؤسسا وفق قاعدة تتميز بخاصية سوسيو ثقافية تكرس لنظام التجمع والاجتماع الذي يسوده التواصل المستمر في اطار حلقاتي متباين العدد في كل طاولة بالمقهى ولان حقيقة هذا الاجتماع كانت موجودة عبر التاريخ كله لكن ليست في نفس الفضاء وليس مع كل الاشخاص فغالبا ما كان قبليا يدخل في مجال الزيارات المتبادلة بين الاهل والاقارب والانساب ومن تجمعهم صلة دموية للاجتماع حول صينية الشاي او القهوة- والخوض في القضايا التي تهم العائلة او القبيلة في المقام الاول اذ ان فضاء البيت يفرض شروطا خطابية لها سيماتها الخاصة لوجود معايير وقيم كفيلة بوضع الحدود للمواضيع المثارة في الجلسات. ومؤطرة لنمط الخطاب او ما تحتمه تلك العلاقة القرابية التي يصبح الخطاب فيها محدودا ومعلوما وهذا كله في معادلة العلاقة بين الضيف والمستضيف وبمرور الزمن وفي الوقت الذي صارت هاته الاخيرة تتلاشى نتيجة متغييرات اجتماعية جديدة سار المجتمع وافراده في البحث على مجال اكثر شساعة للتواصل والتعبير الحر واللا محدود اذ سرعان ما وجد لنفسه فضاءا اخر الا وهو الاسواق التقليدية كملتقى اخر اكثر استقلالية ويتميز بطابعه التجاري الذي تاخذ فيه المقهى حيزا لها برمزيتها الجلساتية المتمثلة في فنجان القهوة او كاس الشاي معالمه خيمة مبنية ومحتواه اطياف اجتماعية متنوعة تمتد من اجتماع القبيلة والعائلة الى اجتماع اكثر من قبيلة وبالتالي يجعل من المكان منطلقا للتعارف بين القبائل وتلاقي لمختلف الثقافات ومنه انتاج شتى العلاقات ومن ورائه انتاج الخطاب الجديد. الذي يتماشى وفق اهنمامات متبادلة وفي

مسار تطبعه المصالح والحاجيات المتزايدة التي فرضتها تحديات النظام الاجتماعي العالمي الجديد وما صاحبه من تجليات استهلاكية وقيم جديدة والذي حمل في ثناياه اسلوبا شموليا له حتمياته وشروطه المليئة بالتحديث المبني على التقنية والتواصل المفيد حول الواقع وفيه .لما له من اهمية بالغة لا تقف عند مستوى الافراد فحسب بل تتعداه الى مستوى المجتمع كله او قل العالم برمته وبالتالي السعي الى ثقافة التضامن والشراكة والتحاور حول شتى الهواجس والانشغالات التي لا تعترف بالحدود الجغرافية وخالقة لنفسها عديد الفضاءات كمرصاد لحتمية تواصلية وعلى راسها المقهى بالمعنى الحديث كنتاج لمعطيات مادية بالاساس على اعتبارها فضاءا تجاريابالنسبة لصاحبه ومركز اجتماع غير رسمي بالنسبة لمرتاديه.

مفهوم الخطاب

للخطاب تعريفات عديدة ومتباينة وهو ما يعزى في المقام الاول الى اتساع نطاق ومجال معالجة المفهوم الامر الذي اضفى ولا يزال يضفي عليه قدرا من الغموض واللبس ومع ان مفهوم الخطاب في الاونة الاخيرة صار متداولا بكثرة في الكتابات الاجتماعية والفلسفية خصوصا ومحل اهتمام العديد من المفكرين والباحثين عموما الا انه تجدر الاشارة الى ان الفضل في تناول هذا المفهوم يرجع بالاساس الى علم الالسنية وهو ذلك العلم الذي يصب اهتمامه في دراسة اللغة وقد تم استخدام مفهوم الخطاب في علم الالسنية بمعنيين متقاربين.

احدهما معنى واسع ينظر للخطاب كتعبير عن كل ما كتبه او قاله او علق عليه شخص ما سواء في مقابلات او مؤتمرات او وثائق او كتابات مختلفة المرجعيات.

اما الاخر فله معنى ضيق ومحدود لكونه يقتصر مفهوم الخطاب على مصاغ النطق او البيان الذي يتجاوز الجملة منظورا اليه من زاوية قواعد تسلسل وترتيب تتابع الجمل وفي السياق فالخطاب يعد بمثابة مفهوم يجمع بين اللغة وممارساتها اي بين النص او الجملة او الكلمة وبين السياق او الواقع بكل تفاعلاته الاجتماعية والتاريخية والسياسية والثقافية بصفة عامة فهو يشير الى كل انتاج ذهني منطوقا او مكتوبا فرديا او جماعيا ذاتيا او مؤسسسيا في صورة عبارات لغوية اعدت صياغاتها النظرية في حدود وحدة اكبر من الجملة وهي الخطاب، فهو بمثابة رسالة من الكاتب الى القارىء تتم عبر النص ومن المتكلم الى السامع تتم عبر الكلام بغية تحقيق التواصل البشري ويتوافق مع تلك الرؤية ايضا تصور اخر حول الخطاب بصفته مجموع الاحداث الكلامية المكتملة بذاتها المكتوبة او المنطوقة التي يرسلها المخاطب او صاحب البث ويستقبلها المتلقي عبر قنوات وشفرات ومرجعيات مشتركة متفق عليها بينهما وجار اجتماع اهل اللغة عليها قصد الابلاغ والتوصل كما يذهب الباحثين في تحليل الحقل الايديولوجي للخطاب الى ان مفهوم الخطاب يشير في غالبيته الى منظومة مترابطة من المفاهيم والمقولات النظرية المجردة التي تتضمن منطقا ونظاما خاصا وتتناول جانبا معينا من الواقع الاجتماعي

الذي يعتبر مصدر النشاط الانساني في كل حيثياته الفعلية والقولية الراسخة في منظومة متشابكة يصنعها هو اذ تنطلق منه لتعود اليه ليعيد انتجها وفق مستجدات معرفية يعمل على التكيف معها او تكييفها حسب قوانينه وظوابطه الاجتماعية التي تتماشى مع خصوصياته وتركيبته الثقافية .

فالمجتمع وواقعه هو محور الخطاب لا غير. اذ يتضمن امكانية اعادة الانتاج و والتصور طبقا لقوانينها الداخلية الموجودة اساسا في الغة نفسها بوصفها اداة للتواصل بين المتكلم والسامع[1]

وذكر " محمد حافظ دياب " بان الخطاب ينظر اليه عموما على انه كل منطوق او مكتوب بجملة وجهة نظر محدودة في صياغة شفهية او كتابية تفترض نية التاثير على السامع او القارىء مع الاخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تتم فيها في المكان والزمان[2] في حين خلص " عابد الجابري الى ان الخطاب عبارة عن رسالة من الكاتب الى القارىء... فالاتصال بينهما انما يتم عبر النص تماما مثلما ان الاتصال بين المتكلم والسامع يتم عبر الكلام او الاشارات الصوتية فليس هناك رسالة بدون مستقبل[3] اذ انه لا يوجد نص للخطاب خارج المتلقي والمتلقي ليس فكرة ميثالية او ذاتا خيالية جوفاء بل هو كائن متحقق في الزمان والفضاء ومتبدل ومتغير في شروط تلقيه فهو لا يستقر على موقف ثابت بل يستجيب الى حال متقلب[4] وكذلك هناك سامع يسهم مساهمة ظرورية في تحقيق الاتصال الكلامي مثلما يسهم القرىء بنفس المساهمة في تحقيق التصال الكتابي عبر النص ويتضح في هدا الموضوع ان هناك طرفين متلازمين يكونان الخطاب اولهما ما يقول الكاتب او المتكلم وثانيهما ما يقرؤه القارىء رغم تعدد القراءات فالخطاب بوصفه مقولة الكاتب او تعبير المعبر الشفوي ههو بناء من الافكار يحمل وجهة نظر معينة هاته الاخيرة هي باعتباره مقروء القارىء

) محمد عابد الجابري مرجع سابق ص10

(2) محمد حافظ دياب:سيد قطب: الخطاب و الايديولوجية دار الثقافة الجديدة القاهرة ط 1 سنة 1986 ص08

(3) محمد عابد الجابري مرجع سابق ص11

(4) رضا الابيض سلطة النص الشكلية: كتابات معاصرة عدد 33 مجلد 9 بيروت 1998ص.

فهو كذلك ذلك البناء نفسه وقد اصبح موضوعا لعملية اعادة البناء اي نصا للقراءة وكيفما كانت درجة وعي القارىء بما يفعله فانه يمارس في ذلك ما يمارسه صاحب الخطاب عند بناء خطابه بمعنى ابراز اشياء والسكوت عن اخرى وتقديم قضايا وتاخير اخرى فيساهم القارىءهكذا في انتاج احدى وجهات النظر التي يحملها الخطاب صراحة او ضمنيا[1]

ومن زاوية مغايرة تماما فقد عرف ميشال فوكو الخطاب بانه نسق امكان الوصول الى المعرفة. فكلمة خطاب لدى فوكو تجمع تحتها كل اشكال الانتاجات الثقافية. بما في ذلك جهوده الخاصة هو نفسه لاخضاع تلك المنتجات الثقافية للنقد كما يستمد الخطاب حسب ميشال فوكو قيمته من اتساعه ولا محدوديته واسلوبه الاستدلالي. فمن جهة يعتبر ان الخطاب هو مجال شاسع تبرز فيه وتتبلور ذوات المتكلمين في تناولهم للاحداث والممارسات الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية وغيرها[2]

ومن جهة ثانية فان تحليله للخطاب يعتمد على المجاز والاستعارات والتشبيه اكثر مما يستمدها من الشواهد والبيانات الواقيعية او بالاحرى من قوة الحجة والقدرة على البرهنة والاقناع ولعل اهم ما ركز عليه هذا المفكر في مرحلة تالية قوله بان الخطاب يمكن تحليله ليس من حيث القائل او موضوع القول فحسب. ولكن ايضا من حيث الشروط التي تعطي لهذا الخطاب دورا واهمية في المجتمع. ومن ثمة تضفي عليه نوعا من القوة المرتبطة بالقهر. سواء اكان ذلك القهر صادر من جماعة معينة بالذات او فرد

(1) محمد عابد الجابري مرجع سابق ص12

(2) د. زواوي بغورة : مفهوم الخطاب في فلسفة مشال فوكو المجلس الأعلى للثقافة القاهرة سنة 2000 ص

بعينه او عن النظام السياسي للدولة ككل. اعتمادا على سلطاتها الخاصة المتمثلة في قواها العمومية كالشرطة او الجيش والملاحظ في هذا السياق وطبقا لما ذكره "فوكو" ذاته ان اهتمامه بعلاقات القوة المتضمنة في الخطاب يفوق بكثير اهتمامه بعلاقات المعنى باعتبار ان الاولى تمثل من وجهة نظره العامل المؤثر في انتاج الخطاب[1]

الماركسية و فهم الخطاب:

يمكن توظيف الماركسية في فهم الخطاب من زاوية انه يخضع لمجموعة من المحددات التي تؤطر لأنتاجه و تتحكم في توصيفه للحاضر و المستقبل و ترجمة الواقع بحسب بعض المقومات و الركائز التي تخدم مصالح الجماعة الحاكمة في المقام الاول و بالتالي فإنه يأتي كمبرر و مدعم لأديولوجية مادية شاملة سياسية، اقتصادية، اجتماعية و ذلك من خلال مرجعيات ثابتة في الرؤية الماركسية كنظام اجتماعي واضح الابعاد اذ يمكن أن تتكرس هذه الرؤية في جملة التصورات المجسدة للواقع في لحظة تاريخية محددة على الصعيد النظري إذ انه يبقى بين تصور الواقع و الواقع ذاته ثمة مساحة فضفاضة تتفاعل فيها مختلف الطبقات وفق تلك المحددات التي هي بدورها تترك جملة من الانطباعات تتنوع بين النقد و التوافق و التضارب الذي لا طالما تعرفه طبقات الماركسية بين الاقلية الحاكمة و الأغلبية المحكومة و هذا أيضا حسب عدد من العوامل التي ترتبط بوضع اقتصادي و اجتماعي بدرجة الأولى في بنية ذاتية[2] و الذي يبرز من خلاله محتوى طبقيا معين و الذي تظهر عليه هو الآخر أشكالا خطابيا في رؤيته للواقع و مكانة أصحابه الاجتماعية.

---

(1) Michel F. Disciplinary. Power and subjection : black well oxford cambridge USA 1994 p229-230

(2) ابراهيم ابراش: علم الاجتماع السياسي . دار الشروق عمان ط1 1998 ص229

إذ يمكن القول أن الخطاب من وجهة الماركسية يمكن فهمه على اساس معطيات مادية تاريخية ايديولوجية.

* البنوية وفهم الخطاب

ظهرت دراسة الخطات من منظور البنائية مع نهاية الستينيات. حيث ابدى علماء اللغويات اهتماما خاصا بتطوير كيفية تركيب وبناء المعاني اذ انه لا معنى للكلمة الا من خلال الجملة منطلقا في تحليله للغة على مستوى الجملة كوحدة وبناء مركب الى مستوى تحليل الخطاب كله ليشمل هذا الخطاب نسق المقولة سواء كانت مكتوبة او منطوقة وكذا ادواة الجدل والاقناع والتبرير التي تحتويها و لم تهتم البنيويةبلحظة انتاج الخطاب او ما يعرف بالسياق التاريخي للخطاب انتساقا مع خصاءصها العامة ويعتبر " ف.دي سوسير" احد ابرز رواد هذا الاتجاه حيث اكد على ضرورة تحليل الخطاب من الداخل [1] بالتركيز على نسق العلاقات الموجودة داخل الخطاب وتركيز البحث في بنيته الذاتية والحد من التركيز على العوامل الخارجية المؤثرة في تشكيله وبلورة ملامحه.[2]

- **المؤثرات الخارجية وفهم الخطاب/–ما بعد البنائية**

على النقيض من المدخل البنائي فان مدخل ما بعد البنائية يتخلى عن فكرة وجود شيء ثابت ومنتظم يمكن الكشف عن مدلوله بالتعمق في محتواه الكامن حيث ينطلق منظروا ما وراء البنائية ومن ابرزهم" جاك ديريدا" و"رولاند بارت" في المرحلة المتاخرة من حياته والتي شهدت ظهور كتابه الشهير " متعة النص" وكذلك "ميشال فوكو" كما يصف نفسه. من فكرة ان هناك مستوى واحد فقط للبحث في مدلولات المضامين الخطابية. وهو مستوى السطح. فليس ثمة اعماق خفية او دفينة تحتاج الى بذل

أحمد أبو زيد المدخل إلى البنائية المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية القاهرة سنة 1995 ص

2–ابراهيم ابراش مرجع سابق ص231

مجهود مضاعف للتنقيب عنها واظهارها والتحقق منها. ويتبع ذلك القول بان المستوى السطحي هذا يكون في صورته الاولية التي تتسم بالفوضى واللامعاني. وان لالاقوال او الخطابات هي التي تضفي الانتظام العام على حالة الفوضى تلك. اما عن اليبيل الذي يقترحه اصحاب التيار الما بعد البنائي للوقوف على المعاني الحقيقية الواردة في الخطابات المختلفة على تنوعها فيكمن في العلاقات فيما بين الكلمات. والتي تكون عادة متمايزة عن بعضها البعض فالاهم هو اظهار هاته التمايزات التي تضفي على الخطاب دلالالته عندما يوظف المخاطب كلمات دون اخرى. وبناءا على هذا التصور يستخدم مصطلح الخطاب عموما ما بعد البنائية للاشارة الى مجموعة اقوال او احداث ذات صلة ببعضها البعض الا ان ان اهم ما اكد عليه المنتمون الى هذا الاتجاه هو الاقرار بانه ليس هناك خطاب له معنى محدد بوصفه كيانا مستقلا في حد ذاته. حيث يبقى معناه دائما على علاقة بالخطابات الاخرى[1]

لكن وعلى الرغم من قيمة هذه الاطروحة الاخيرة لهذا الاتجاه الا انه يضع الباحث الذي يوجه جهوده نحو تحليل الخطاب اي من الخطابات القائمة في اشكالية يصعب عليه تحاشيها او الخروج منها نظرا لان تناوله لخطاب ما بالمناقشة والتحليل تفرض عليه التطلرق للخطابات الاخرى ذات الصلة. وهكذا سوف يجد الباحث نفسه في دائرة مغلقة ان لم يكملها [2] هو فقد تاتي نتائجه ناقصة او غير واضحة المعالم. ان اكملها تشابكت مفاهيمه الى حد التضارب لكونه يخوض في اكثر من مجال بحثي.سياسي . اجتماعي. اقتصادي..... وفقا لتنوع الخطابات موضوع الدراسة ومن ثمة تاتي النتائج مشوهة او لا تتسم بالدقة المطلوبة.

(1) إيان كريب: النظرية الأجتماعية من بارسونز إلى هابر ماس: ترجمة محمد حسن غلوم: عالم المعرفة و الكويت 1999ص275-276

(2) أحمد أبو زيد المدخل إلى البنائية المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية القاهرة سنة 1995 ص252

لذا وجب عليه التركيز والتحديد الكفيل بوضع بحثه تحت المجهر وجمع اكبر قسط من البيانات المحددة لمثل هاته الدراسات[1].

الخطاب من منظور الوظيفية

تعددت الكتابات التي تناولت الوظيفية. والأسس التي ترتكز عليها كمدخل نظري إلا أنها في معظمها اتفقت على ان هناك عدد من المقولات النظرية الأساسية التي تحدد معالم الوظيفية. وتميزها عن غيرها من المداخل النظرية السائدة في مجال علم الاجتماع. والتي تؤكد في غالبيتها على ضرورة التوافق والتناغم والمحافظة على استمرارية البناء الاجتماعي ككيان كلي قائم.

وفي ضوء هذه المقولات النظرية. وارتباطا بموضوع بحثنا إذ بإمكاننا انظر للخطاب في المجتمع المعاصر بوصفه احد الوسائل الفعالة التي يعتمد عليها النظام القائم في تحقيق التواصل والتكامل الاجتماعي بغية المحافظة على توازن النسق واستمراره[2]. وذلك من خلال ما يؤديه كجزء لا يتجزأ من الكل في وظائف حيوية في هذا الإطار استنادا لما ينطوي عليه من مبادئ وتوجهات عامة تهدف في أصلها إلى إضفاء صفة المشروعية على البناء في كل مجالاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية القائمة فالخطاب السياسي مثلا في وظيفته الخطابية يستعمل عديد الوسائل التعبيرية في مواقف معينة وبخاصة ما تمثله مواقف للسلطة السياسية ليس فقط على نحو ما هو كائن في الواقع وإنما على نحو ما ترغب هذه السلطة ان يدركه المواطنون وكذا تدعيم هذه المواقف حيث تجد هذه السلطة نفسها ملزمة بتحقيق مجموعة من المطالب الملحة مثل المطالبة بحل بعض المشاكل العالقة والظواهر المتفشية.

---

1 – سمي ر نعيم المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية المكتب العربي للاوفست القاهرة ط 5 .1992 ص209

2 - بوتومور: علم الإجتماع و النقد الاجتماعي ترجمة و تعليق. محمد الجوهري و آخرون دار المعارف القاهرة ط 1 سنة1981 ص86

او تحسين مستوى المعيشة الى جانب مواقف أخرى أكثر حسما من جانب السلطة في مواجهة المشاكل الداخلية وكذا التحديات العالمية المعاصرة وما الى ذلك وفي هذا الحد بالنسبة لهذا النوع من الخطاب تتجلى وظيفته داخل النسق السياسي كجزء من النسق الاجتماعي الذي يصبو الى خلق التوازن في النظام الاجتماعي الكلي وتكمن وظيفته في تبني كل أساليب التبرير والإقناع لإعطاء الشرعية لهذا النظام وضرورة الخضوع و الرضوخ لقوانينه وقراراته مع حثهم على أهمية الالتزام بما ينطوي عليه من توجيهات وطمأنتهم بشان المستقبل فهي واعية كل الوعي بانه يشكل محور ضبط وكذلك الخطاب الديني وغيرها من الخطابات التي تسعى الى التقنين والتنظيم ووضع المعايير والقيم من اجل الحفاظ على النظام الكلي وبنية المجتمع وهذا هو اساس الوظيفية الذي يترك هو بدوره حيزا هاما في انتاج شكل اخر من الخطاب الجماهيري المتضارب الذي يبقى محل تحليل المهتمين [1].

(1) أحمد ولد سيدي: تحليل الخطاب السياسي، دراسة اتنوغرافيا اتصالية في الخطاب السياسي الموريتاني. القاهرة 1998 ص 31

*- الخطاب من منظور الفينومينولوجيا وأولوية الوعي الإنساني:

ترجع الفينومينولوجية بشكل رئيسي الى هيجل وتعكس تقليدا ثريا وعميقا للتنظير الفلسفي لحالات الانسان كما يتضح ذلك في اعمال ادموند هوسر ومارتن هيدجر وجون بول سارتر والفريد شودز واخرين ومعظم هذه الاعمال يتعلق بقضايا الوجود-الانطولوجيا- والمعرفة الابستيمولوجيا- وذلك عن طريق موضوعات تتجه الى دراسة الوجود والمعرفة وانه يوجد في الحقيقة طابع لاهوتي- ثيولوجي- واضح في كثير من هذه الاعمال باعتبارها تهتم بالقضايا الخاصة بالمعنى النهائي —الوجود- والكينونة في الوجود المتسامي وقد انبثقت استعمالات الفينومينولوجيا في العلوم الاجتماعية بصفة مبدئية من كتاب "موريس ميرلوبونتي" والاهم من ذلك اعمال "الفريد شوتز" وهذه الاعمال تؤكد مرة اخرى الدعوة التي سبق ان اشار اليها في وقت مبكر كل من فيبر وهورجرت ميد واخرون والتي تعطي اعتبارا خاصا للمعاني الذاتية في الحيات الاجتماعية ةتركز على الذاتية الداخلية او المفاهيم المشتركة التي يقوم عليها التفاعل الاجتماعي والمناقشات التي تتعلق بالبحث الوصفي الموجه نحو فهم اساس امبريقي للمدركات الحسية العادية والمعاني الخاصة بالفاعلين الاجتماعيين في الحياة اليومية[1]

وبغض النظر عن التفاسير النظرية والمنهجية التي ينضوي عليها الاتجاه وفقا لتوجيهات كل منضر له.يمكن استشفاف مجموعة من الأسس والقواعد العامة التي يتبلور فيها الخطاب.

(1) إيان كريب مرجع سابق ص148-152

اذ ان الاتجاه هذا يهتم بدراسة البنى والوعي الإنساني ويؤكد في إطاره على ان هذا العالم الذي نعيش فيه انما هو عالم مصنوع في وعينا. ومع ان هذا لا يجب ان يؤدي بنا الى انكار وجود العالم الخارجي. الا انه يلح بشدة على كون هذا العالم الخارجي لا معنى له الا من خلال وعينا به.كما يتفق منظري هذا الاتجاه على ان الظواهر الاجتماعية نفسها تكتسب معان خاصة بالنسبة للافراد من خلال وعييهم الذي يتشكل في اطار مجتمعي معين ومن ثمة تؤكد الفينومينولوجيا الى وصف وتفسير الخطاب من خلال ظواهر الوعي الانساني الشامل وتوضيح كيفية تشكلها على اساس تلك الخبرات المجتمعية للافراد.

*خبرة الحياة اليومية وفهم الخطاب :

تعد خبرة الحياة اليومية او ما يطلق عليه بالاثنوميتو دولوجيا كمدخل أساسي وامتداد للمشروع البحثي للفينومينولوجيا او الظاهراتية السالفة الذكر بمعالمها المبنية على أساس الوعي الإنساني اذ ان هذا الاتجاه يحاول تحويل الأطر النظرية للفينومينولوجيا إلى إجراءات منهجية واقعية ويتضح هذا فيما ذهب اليه= هارولد جارفينكل= مؤسس هذا الاتجاه. في ان مجال اهتمام الاثنوميتودولوجيا ينحصر في دراسة الطريقة التي يفهم ويستوعب بها الافراد مواقف الحياة اليومية مع مدى امكانية تنظيم هذه المواقف بطريقة اجتماعية. ومن هنا يستمد هذا الاتجاه مضمونه باعتباره تعبيرا عن المعرفة المنظمة التي تتشكل لدى الفرد في اطار افرازات وتفاعلات الحياة اليومية[1].

(1) إيان كريب مرجع سابق ص163

وان موضوع علم الاجتماع هو البحث في الكيفية التي تنتظم بها هذه المعرفة وكذا الاهتمام بفحص الطرق والسبل والاجراءات التي يستخدمها افراد مجتمع معين في تصوير عالمهم الاجتماعي وتمثيله بمعنى معين على وقائعه[1] وفي هذا الصدد قد اثار"ارون سيكوريل" احد رواد هذا الاتجاه كذلك الى مجال اخر اعتبره هاما في الاثنوميتودولوجيا ويتمثل في دراسة المعاني والدلالات العامة التي يتبناها ويعتقد ويؤمن بها الافراد الداخلين في تفاعل اجتماعي ما وان ما نفعله هو اعطاء صيغة معينة متصلة بالموقف المستمد من تلك المعاني والدلالات المتفق عليها في المجتمع ككل او حتى بين جماعات محدودةقبلية او عرقية او دينية....الخ وهذا في اطار لا يخرج عن اطار المجتمع بخصوصياته خاصة الثقافية منها ومنه فان مهمة هذا الاتجاه تكمن في التصل الى مدلولات هذه المعاني العامة او الرموز الكبرى كما اسماها — "بيرجر ولوكمان" في سياق الاتجاه نفسه. —

وفي ضوء هذه المعطيات نجد ان معالجة وتحليل الخطاب بالنسبة للمثوميتودولوجيا يكون اكثر تحديدا من ذلك الموجود في الفينومينولوجيا —الظاهرتية- فبالرغم من اعطاء كل منهما الاولوية للوعي الانساني ودوره في بلورة تاويلات واستنباطات متعددة لموضوع الخطاب فان الاتجاه هذا يعطي الاولوية لوعي الحياة اليومية او المعاش [2] من منطلق ان وعي الافراد ما هو الا وجه نابع من تفاعلات هاته الحياة التي يعيشها الافراد انفسهم وان هذا دون سواه هو العامل المؤثر في تباين فهمهم للخطاب اذ لا يصبح هو نفسه مقارنة بخبرة الافراد المستوحات من تجارب حياتية لنظرائهم

01أحمد زايد: خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري، دار القراءة للجميع ط1 دبي 1992ص.

02-إيان كريب مرجع سابق ص164

في نفس المجتمع في فترات تاريخية سابقة. او حتى اولئك المعاصرين لهم في مجتمعات اخرى معاصرة لهم كما يفعل الفينومينولوجيون على غرار —شوتز-[1] واستنادا عليه فان فهم الخطاب ةتحليله في الاتجاه الاثنوميتودولوجي الذي يجعل من الخطاب الواحد مرجعية تنتج لدى الافراد تأويلات متعددة رغم وقوعهم جميعا تحت تاثير نفس الخطاب او بمعنى اخر فان هناك عمليات لانتاج واعادة انتاج من خلال الخطاب وكل حسب طريقته في تناول او تلقي هذا الخطاب.

* النظرية النقدية وفهم الخطاب

ان ابرز ما تضمنته إسهامات رواد النظرية النقدية فيما يخص موضوع الخطاب هو ما اشار اليه — هابرماس- والذي اخذ على عاتقه تطوير هذه النظرية بغية مواكبة المتغيرات المعاصرة فيما يتعلق بما يسمى-الهيرومنوتيك-ERMENEUTIC - او علم التأويل حيث رأى —هابيرماس- ان اهتمام هذه النظرية ينصب في طريقة تاويل أفعالنا تجاه بعضنا البعض وطريقة فهمنا لبعضنا البعض. كذاالسبل التي نتفاعل بها في نطاق التنظيمات الاجتماعية وبذلك فان النظرية هاته تشترك في بعض من توجهاتها مع عدد من المنظورات او الاتجاهات الأخرى كالبنائية او ما بعد البنائية التي سبقنا وان اشرنا اليها اذ تهتم جميعا بصورة ما بما يفكر به افراد المجتمع وما يقولونه وعلاقة ذلك بأفعالهم واذا كان التاويل هو ارجاع الشيء او الظاهرة محل الدراسة الى عللها الأولى وأسبابها الأصلية ومن ثمة التحليل والوصول الى الغاية[2]

---

(1) إيان كريب مرجع سابق ص348

(2) نصر حامد أبو زيد : نقد الخطاب الديني: مكتبة مدبولي القاهرة ط3 1995ص140 .

و ان هذا هو جوهر تركيز هذه النظرية التي تبني اطروحاتها ومواضيعها على التعمق في المعاني الكامنة ومحاولة كشف الغموض الموجود في التعبيرات الظاهرة.

ومما ركز عليه "هابيرماس " ايضا في هذا المجال هو تأكيده على ان الهيرمينوتيكا كمدخل نظري يمكن توظيفها كوسيلة يستعان بها في الكشف عن العملية التي بموجبها تقوم البنى الاجتماعية بتشويه وعي الأفراد وبالتالي تشويه عملية التفاعل ذاتها وتحدث فيها الاضطراب والخلل والبلبلة. وتستند رؤية "هابيرماس" هاته الى منطلق انه من اليسير والسهل جدا خداع وتضليل الافراد ليس هذا فحسب وانما قد تتخذ عملية الخداع هاته عند هذا الحد شكلا منظما. ونخلص من ذلك انه يمكن الاستفادة من هذا المدخل في فهم الخطاب بالنظر الى ان هذا الظرف الاخير يهيء لنا الجو المناسب للاطلاع على كل خلفيات الخطاب من خلال الاليات الهامة التي يعتمد عليها والتي قامت بانتاجه هو نفسه ومدى وجود معاني كامنة مغايرة لما يجسده الخطاب على مستوى الاقوال الظاهرية لمنتجه من جهة اخرى كما كان هابرماس يرغب في بناء منظور نظري ياخذ بعين الاعتبار عمليات الاتصال التي تؤدي الى الاجماع على القيم كما كان يدرك اهمية اشكال التفاهم الذاتية المتبادلة المشتركة بين الناس في تفاعلهم مع بعضهم في شكل اتفاقات ضمنية لمستوى الوعي لهذا فقد اهتم بشكل قاطع بعمليات الاتصال الي تعطي المحتوى السيكولوجي للمفاهيم الضمنية المطلقة [1].متاثرا هو الاخر بالفكر الفرويدي في التحليل النفسي الذي سرعان ما وظفه كمثال للالية التي يمكن توجيهها نحو مستويات اعلى من ادراك الذات في عملية الاتصال على اعتبار عملية التواصل او الخطاب ليست بها قوانين

(1)أحمد أبوزيد. مجموعة أعمال بيرتل برجر، ميشال فوكو، ماري دوجلاس، يورجن هابرماس: ترجمة فاروق أحمد مصطفى و أخرون،: الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 2009.ص

مجردة ترتكز على الملاحظة الامبيريقية ولكنها تمثل منظورا سابقا يهدف الى اعطاء مفاتيح عن طبيعة الاتصال او عملية التخاطب والتي تسهل عملية البحث للوصول الى اتفاق عام معطيا وزنا هاما للثقافة كما ان هابرماس يعتقد في ضوء الانعكاس على عملية التخاطب ان هذا لا يساعد فقط على الاحاطة بالحوجز المؤقتة للتفاعل الانساني ولكن يساهم ايضا في تحقيق اكبر قدر من التقدم الدائم في التطور الانساني[1]

التحليل الثقافي وتوجيه الخطاب

ان التحولات الجذريتي في مجال دراسات الثقافة خلال العقدين الماضيين و بالخصوص الدراسات السوسيولوجية و الانثروبولوجية التي حضيت بالاهتمام الكبير نظرا للدور الذي تلعبه في تحليل اغوار واسرار المجتمعات. بحيث تكاد تكون هناك قطيعة كاملة بين النظريات والمناهج والقضايا والمشكلات التي كانت تشغل اذهان المفكرين والعلماء والباحثين خلال القرن التاسع والعاشر وبين ما هو موجود اليوم في الكتابات والابحاث والدراسات المعاصرة التي اصبحت تتميز بالرؤية الواسعة في النظر الى مفهوم الثقافة بحيث زالت التفرقة القديمة بين ما كان يعرف بالمعنى الانثروبولوجي والمعنى النخبوي للكلمة. ذلك الى جانب تنوع اساليب التحليل فيها بحيث اصبح يشار الى النظريات السابقة الا من خلال سياقاتها التاريخية باعتبارها تمثل مرحلة سالفة من مراحل تطور الفكر الاجتماعي والثقافي فقط. وقد فرضت التغيرات الحديثة على الباحثين و المفكرين والكتاب ضرورة الاهتمام بدراسة المشكلات

---

(1) المرجع نفسه ص

الثقافية باعتبارها المحور الأساسي لكل الدراسات وداخل كل المجتمعات المعاصرة الشديدة التعقيد وهذا بالتحليل والكشف لما تتميز به من تنوع وتعدد في القافات بعكس ما كان عليه الامر في الماضي اين كانت الاحادية الثقافية هي الطاغية وكما كان متبعا في البحوث الانثروبولوجية بوجه خاص.اما في الوقت الراهن فقد انفتحت الدراسات الاجتماعية او الإنسانية بشكل عام وبصفة مميزة وغير معهودة في مجال التحليل الثقافي الذي وفر الفرص امام المفكرين لمعالجة شتى مظاهرالانسانية من فن ولغة وهوية وتاريخ وتصورات للزمان والمكان.بل وحتى الفضاء من منظورات عالمية ومحلية اقليمية وقد اقتضى هذا الاتساع في الرؤية وذلك التنوع والتعدد في ميادين البحث االاستعانة بالمناهج المتعددة الابعاد ومن منظور نقدي على اعتبار ان تلك المجالات المتنوعة والمتعددة ليست في اخر الامرسوى تعبيرات عن البيئة الثقافية العامة التي تحيط بالمجتمعات التي انتجتها والاكثر من ذلك دخول قضايا ذات ابعاد ايديولوجية واخلاقية الى مجال الثقافة كما ظهلرت على السطح مشكلات انطولوجية وكوزمولوجية نتيجة للتطورات العلمية الحديثة [1] وذلك علاوة على الاهتمام بمشكلات العولمة واستخدام الانترنت وغزو الفضاء والاتصال بالعالم الخارجي والنقد ما بعد الكولونيالي للثقافة الغربية نفسها وظهور النزعات الوطنية والقومية وغير ذلك كثير.

واذا كان علماء القرن التاسع عشر ومفكروه اتبعوا المناهج التطورية السائدة في ذلك الحين في دراساتهم وتحليلاتهم للثقافة الانسانية بشكل عام. كما فعل جرافيتون اليوت سميث في كتابه الرائد عن انتشار الثقافة واذا كان علماء القرن العشرين اتبعو مناهج التحليل الوظيفي واساليبه التي سيطرت على مدارس النصف الاول من ذلك القرن فان علماء الحقبة الراهنة فقد استرشدوا في تحليل الثقافة

وتركيباتها الى النظريات المعاصرة التي لازالت توظف كمرجعيات اساسية ودعائم نظرية نستفيد

(1) احمد ابوزيد بمجموعة أعمال بيرتل برجر، ميشال فوكو واخرون المرجع السابق ص

منها نحن اليوم باعتبارها تيارات فكرية جديدة كالبنائية وما بعد البنائي و ما بعد الحداثة والمادية الثقافية والتفكيكية وغيرهامن التيارات الحديثة التي وردت في بحثنا هذا.

والواقع ان المادة المتاحة عن التحليل الثقافي غنية ومتنوعة وعميقة مادام يخص بالدراسة المادة الثقافية هذا الكل المركب الذي يكتنف موضوع دراستنا هاته أي الخطاب الذي يشكل حلقة فيه لا تخلو من التعقيد وان تحليله والخوض فيه هو في ذاته تحليل ثقافي يضع اعباءا كبيرة على عاتق الباحث الذي يبحث عن القيمة العلمية لبحثه مغترفا من كل الاتجاهات والنظريات والمداخل والمناهج المتعددة هي الاخر وهذا بالنظر الى الثقافة ليست فقط كايديولوجية بل كمنظومة من الممارسات والسلوكات والعلاقات او كسلع ومصنوعات مادية وغيرها وان هذه النظرة الجديدة الى الثقافة هي التي تفرض عمق التحليل الذي يوجه الافعال والاقوال بما فيها الخطاب الذي يخضع الى ثقافة المجتمع ويتاثر بها او بالاحرى يتمظهربهابما فيها القديم والحديث [1]واذا كان من العسير الوصول والاتفاق على وضع تعريف دقيق ومحدد لكللمة ثقافة مما يعطيها صبغة التشويق التي تفتقر اليها المفاهيم الاخرى الشائعة في في العلوم الاجتماعية والانسانيةفي كل العصور فهي باب لمجالات عديدة في مظاهرالسلوكات و الحياة اليومية برمتها. فالتحليل الثقافي يهدف الى فهم الاطر العامة للحياة الاجتماعية وتحديدها وتتبعها ويبحث عن تاثيراتها ومؤثراتها والمضاهر الناجمة والبارزة في المجتمع الانساني بشكل عام او في خصوصيات مجتمعات بعينها وهذا يقتضي ليس فقط رصد مكونات الثقافة ولكن ايضا تتبع التغيرات

(1) جهان سليم: عولمة الثقافة و استراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة. المستقبل العربي، بيروت عدد293 سنة 2003.ص 123

والتعديلات التي تطرا عليها والدور الذي تلعبه في استمرارية الحياة الاجتماعية وتماسكها واعطاء المجتمع سماته وهويته الخاصة والمميزة بجانب تمظهر تلك الثقافة وعناصرها المتلاحمة التي تعطي للثقافة ذاتها العضوية الراسخة في كل التفاعلات والمعاملات الانسانية.

كما يتناول هذا النهج من تحليل الثقافة وعناصرها المكونة في ضوء السياق العام الذي تعمل فيه. ويبرز هذا بشكل مؤكد في التحليلات البنائية وما بعد البنائية للثقافة التي تاثرت بكتابات عالم الغويات السويسري فردينان دو سوسير وكتابه الشهير دروس في اللغويات العامة وبمقتضى ذلك التوجه اصبح العلماء ينظرون الى الثقلفة والانشطة الثقافية على انها نصوص ينبغي قراءتها وتفسيرها تماما كما هو حال الخطاب اذ لا يمكن فقط رصدها ووصفها وابراز العلاقات المتبادلة بينها والتي تعطيها وحدتها الكلية المكتملة. ولان مفهوم الثقافة لا يزال معقدا ويصعب الاتفاق فيه على تعريف عام ومحدد الشيء الذي ادى الى تعدد نظريات التحليل الثقافي والمبادىء الاساسية التي ترتكز عليها مختلف التحليلات. ولكن الملاحظ في كل الاحوال ان غالبية هذه النظريات تاخذ الثقافة على انها نسق من الرموز او علامات التحليل اللغوي والاستعانة باللغويات البنائية تحتل مكانا محوريا في تلك النظريات وربما كانت اهم المبادىءالاساسية التي يلجا اليها العلماء والباحثون في التحليل الثقافي المعاصر هي

- الماركسية الجديدة التي تعتمد في التحليل الثقافي على التفاوت الطبقي. كما يظهر ذلك في كتابات "لوي التوسر" و"جرامشي "وغيرهما

- التكوينات الاركيولوجية للمعرفة وعلاقات القوة في سياق تاريخي كما في اعمال ميشيل فوكو[1].

(1) زواوي بغورة مرجع سابق

-نظرية النظم ومفهوم الخطاب

-نظرية الوصف المكثف كما وضعها في الكتابات الانثروبولوجية كليفورد جيرتز وما يصل بها من تحليل هيرمينوطيقي للمادة الاثنوجرافية والمقاربات الفينومينولوجية وذلك الى جانب عدد اخر من اساليب التحليل التي يصعب حصرها.وفي جل نظريات التحليل الثقافي المعاصر تعتبر الثقافة رموزا او علامات لها معان تحتاج الى التفسير. والمعنى هذا يتم تكوينه عن طريق انتشار الافعال والاشياء التي تعتبر علاقات متبادلة. هاته الاخيرة هي التي تؤدي الى قيام انساق العلامات التي يدرسها علم العلامات العام. والتي تنتشر في الزمان والمكان مؤلفة النصوص التي تستمد معانيها من السياق العام الذي توجد فيه هذه العلامات. ونظرا لان الفرع الاكثر تطورا في هذ العلم هو دراسة علامات اللغة واستخداماتها على غرار الخطاب فانه من الممكن على الاقل دراسة العلاقات بين العلامات داخل النصوص اللغوية كبداية لدراسة الظواهر الاخرى.

والخلاصة من هذا كله هي ان الثقافة يمكن دراستها كنسق من الافعال والممارسات والعلاقات —ثقافة لامادية- كما يمكن دراستها على انه جملة السلع والصناعات والامور المادية- ثقافة مادية--= او على انها نسق من الرموز والمعاني او العلامات التي لها دلالاتها داخل النسق الاجتماعي العام .

على اعتبار ان ثقافة أي شعب هي مجموعة نصوص في كل اوجهها ومجالاتها والتي يمكن قراءتها وتفسيرها.[1]ولان اتساع المجال الثقافي في قضاياه ومشكلاته و مواضيعه وكذا شتى المداخل والمناهج التي تتميز بالتشعب هو ما يجعل التحدي قائما لدى كل المهتمين لما كان نتيجة للتغيرات التي طرات على الاوضاع العالمية والكشوف العلمية والتطورات التكنولوجية وكذا سقوط كل الحواجز التقليدية بين الثقافات. وظهور تيارات فكرية حديثة تنظر الى الثقافة الانسانية في كليتها ووحدته العضوية مع الاعتراف بالتنوع الثقافي داخل هذه الوحدة وبالهويات الثقافية المتمايزة.فهذا التعقد والتشعب والتنوع يفرض على الباحثين اتباع المناهج والمداخل المتعددة الابعاد في التحليل الثقافي وهذا بدوره يتطلب اتساع افق الباحث او الدارس ومخيلته. لان التحليل الثقافي يستلزم ايضا تناول موضوعات مختلفة واشد تنوع وتعقيد هي الاخرى كمواضيع اللغة والهوية و التاريخ والفن والاعلام والادب والفلسفة وغيرها بما فيها سائر النظم والايديولوجيات والتي يعبر عنها ويسند اليها الخطاب شتى اشكاله ومنه فان التحليل الثقافي يبقى دائما بحث في شبكة العلاقات التي ترتكز على مختلف الروابط الاجتماعية من منطلق احداث الحياة لا مراحل نموها في سياق نظريات العولمة[2]

(1) نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب و التحليل النصي في البحث الاجتماعي ترجمة الدكتورة طلال وهبة : مراجعة نجوى نصر و منظمة العربية للترجمة ط1.سنة 2009 ص57

02 أحمد أبو زيد المدخل إلى البنائية المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية القاهرة سنة 1995 ص255

البنائية اللغويه والخطاب :

اقتبس هابرماس على نحو مكثف من الكتابات الحديثة في ميدان اللغويات نظرا لاهتمامه بموضوع الاتصال ،احد الإسهامات في هذا المجال هي أعمال ناعوم شومسكي الذي يذهب الى حد انه يمكن الكشف عن القواعد العامة التي تنظم استخدام اللغة ،و هي قواعد تتوافق مع الابنية البيولوجية الكامنة في العقل الانساني، و قد اثيرت مناقاشات كثيرة حول هذه الدعوى التي يبدو انها غير قابلة للفحص و الاختبار ، وعلى أي حال فان الاسهام الاكثر اهمية في اعمال شومسكي فيما يتعلق بمقتضيات دراسة الثقافة هي مناقشته لاهمية اختيار قواعد اللغة او انماطها ، فالمداخل التقليدية للغة كانت تحاول اكتشاف معاني الكلمات ، و لذا كانت تنغمس في مشكلة ذاتية نظرا لان المعاني توجد كامنة في حياة التفكير الداخلي للافراد كما ان وراء ستار المعنى جملة من القيم ترتبط باللفظة وتميزها ومدلولاتها الملتحمة بالضرورة مع الجوهر الجماعي للمجتمع [2]، كما انها تحمل بالضرورة دلالات فريدة تتعلق بتجربة الشخص نفسه ،كما ان هذه المداخل أدت الى اقامة تصنيفات للمعاني المشتركة بشكل عام بين الكلمات ولكنها لم تؤد الى المبادىء العامة للغة ، و لذا تحول شومسكي بعيدا عن المعاني الى القواعد و الانماط و الابنية داخل اللغة باعتبارها هي التي تجعل ذلك الاستعمال للكلمات امرا ميسورا و ذا معنى

و قد ساعد هذا المنظور على تحرير دراسة اللغة من اختلاق الادعاءات عن معاني الكلمات و التركيز على مضمون اللغة و استعمالها نظرا لاحكام اخضاعها للملاحظة.

---

(1) نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب و التحليل النصي في البحث الاجتماعي مرجع سابق ص58

(2) علي نجيب ابراهيم : جمليات اللفظة بين السياق و نظرية الفهم. دمشق ط1 سنة 2002ص123

و قد ساعد هذا المنظور على تحرير دراسة اللغة من اختلاق الادعاءات عن معاني الكلمات و التركيز على مضمون اللغة و استعمالها نظرا لاحكام اخضاعها للملاحظة.

و قد تبنى هابرماس افكارا مشابهة لافكار شومسكي رغم ادعائه عدم الارتياح بالنسبة لدعواه عن التقدير الوراثي للنحو و الصرف و لذا كان يعتمد ، الى حد كبير ، على مصادر اخرى غير شومسكى و على الاخص اعمال جون سيرل في فلسفة اللغة، حيث ياخد سيرل "افعال الكلام" [1] كوحدة اساسية للتحليل، و من امثلة ذلك اطلاق الاحكام و اصدار الاوامرو توجيهها بالاسئلة

و اعطاء الوعود ، و يفترض وجود قواعد تحكم استخدام افعال الكلام و انه يمكن اكتشافها باختبار افعال الكلام نفسها، ولكنه يحرص في الوقت نفسه على توكيد ان الصلة بين افعال الكلام و ما يعنيه المتكلم حقيقة ليست دقيقة تماما فقد يخفق المتكلم عمدا و عن غير عمد عن التعبير بدقة عما يقصده . و لذا فان المقاصد الذاتية و المشاعر و المعنى الذي يقصده المتكلم يظل في اخر الامر غير معروف و لاتشكل في ذاتها موضوعا محوريا للدراسة و البحث . و مع ذلك فان احد الملامح المميزة لافعال الكلام هي محاولة المتكلم ان يربط بين ما يقال و ما يعنيه القول و ذلك من خلال بعض التلميحات و الاشارات التي يمكن ملاحظتها و تتبعها، و بقول اخر فان افعال الكلام تتضمن مفاتيح عن المعاني الذاتية و هي مفاتيح يمكن اخضاعها للفحص و الاختبار، و الغرض الاساسي من اختبار هذه المفاتيح ليس تكوين تخمينات عن طبيعة

---

(1) Pierre Bordiou jean cland Passeron élément pour une theory d’enseignement edition minuit Paris 1970 P

المعاني الذاتية ، و انما هو اكتشاف الشروط اللازمة لتحقيق الاتصال بطريقة واضحة و مفهومة. و تتضح هذه الفكرة في محاولة سيرل التمييز بين "القضية المتضمنة" او جوهر الحديث و ما يسميه "القوة اللاتعبيرية " لفعل الكلام ، و العبارة الاخيرة تشير الى الرسائل الضمنية عن العلاقة بين المتكلم و المستمع ، و ليس لهذه الرسائل علاقة بالمحتوى الفعلي الذي يتم توصيله بوضوح و صراحة . فعلى سبيل المثال حين يامر الاب طفله بقوله "اذهب و احضر لي الجريدة قبل ان تنسى" فان القضية المتضمنة في هذه العبارة تحددها الى درجة كبيرة ضرورة احضار الجريدة ، و لكن الجملة تحمل ايضا رسائل اخرى عن العلاقة بيين الاب الطفل ، كما ان نبرة الصوت المستخدمة في الكلام و صياغة العبارة بطريقة محكمة مزجزة في شكل امر ، و الاشارة الى ضعف ذاكرة الطفل ، كلها تكشف عن سلطة الرجل كاب ازاء الطفل و هذه القوة غير منطوقة للعبارة و فهم هذه الرسائل في توضيح معنى هذه العبارة من خلال الكشف بقوة عن الخصائص و المجال الذي صدرت فيه هذه العبارة.

و يعد هابرماس نظرة سيرل الى الثقافة بشكل اعم، و اللغة بشكل خاص فيذهب الى ان افعال الكلام او الخطاب تنقل رسائل ليس فقط على البناء الشكلي للغة، لكن ايضا عن انماط الثقافة التي تنظم التفكير و التفاعل الاجتماعي ، و يتفق مع سيرل في التاكيد على اهمية تركيز البحوث على الحقائق القابلة للملاحظة داخل الفضاء الاجتماعي مثل مفاتيح التي تتضمنها الاقوال بدلا من محاولة التغلغل الى المعاني الذاتية التي يعتنقها الافراد ، كما يقتبس بصورة مباشرة من مناقشة سيرل "للقوة اللاتعبيرية" [1] فوجود تلك الرسائل الضمنية عن مقاصد المتكلم و عن علاقته بالمستمع التي تعطينا

Pierre Bordiou jean cland Passeron ، المرجع السابق

الامل في اكتشاف مبادىء الاتصال والتخاطب التي تؤدي الى التفاعل الاجتماعي الاكثر فعالية و تاثيرا.

لكن لن يتاتى للمرء اكتساب لغة تخاطب من غير ان يكتسب (علاقة باللغة) في الشان الثقافي وتتباين طريقة الاكتساب في ما اكتسب على شكل طريقة استعمال معينة لذلك المكتسب. ويعبر نمط الاكتساب ذاته عن العلاقات الموضوعية بين سمات المكتسب الاجتماعية والقيمة الاجتماعية للمكتسب هذا ما يصنع ذلك التباين الابرز بين اللسان الشعبي واللسان البرجوازي مما يفرز تلك الشكلية وذلك التجريد في اللغة البرجوازية والتعقلية والاعتدال الملمح اليه تعبيرا عن الاستعداد الوارد حيال اللسان وحيال المتخاطبين وحيال موضوع الخطاب نفسه .ان السافة المميزة والسير المخطوط والفطري المتكلف والذي هو غير موجود في اللسان الشعبي الذي هو ذانزعو مرور مباشر من حالة خاصة الى حالة خاصة اخرى او من الابانة الى الرسم البياني او يظهر في تحاشي التشدق والخطاب الاعصم او تورم المشاعر الجياشة عبر التهكم والمرح والبذاءة وطرائق قول في وجوه كثيرة انها سمات تبين من دونها منع شروط الفصل الاجتماعية كلها بين المعنى الحرفيالموضوعي والمعنى الجاف الذاتي بين الاشياء المرئية وكل ما هي مدينة به الى وجهة نظر منظورا منها واليها[1]

(1) المرجع نفسه

*** انماط الخطاب من خلال الرؤية النظرية :**

تعكس الإسهامات والقواعد التي اسست لها وقدمتها المداخل والاتجاهات النظرية المختلفة تباين التفسيرات التي تستطيع تناول الخطاب وتحليله في ضوئها. فعلى الرغم من هذه الإسهامات إلا أن توظيف مقولات أيا منها في فهم الخطاب والكشف عن أبعاده وطبيعته يبقى مرهونا بمدى توافق وتلاؤم ذلك مع هدف الدراسة الذي ينبغي انجازه. وعليه فان دراستنا هاته قد عمدت الى الاستفادة من المناقشات النظرية السابقة في تطوير مدخلها النظري الخاص واستخلاص المقولات الرئيسية والمواتية التي بامكانها معالجة وخدمة البحث والتي يجدر الاستناد اليها وعلى الرغم من ان مدخل الدراسة النظري يبدو اقرب ما يكون الى الافادة من تصورات كل من –ميشال فوكو- و-هابيرماس- في اطار نظريته النقدية.الا اننا لم نلتزم بتبني ايا من هذين المدخلين او غيرهما من الاتجاهات المشار إليها أنفا على إطلاقها وهو ما يعزى الى عاملين اساسيين يتمثل **الأول** في كون أي من المداخل والاتجاهات السالفة – الماركسية- الوظيفية – الفينومينولوجية- الاثنوميتودولوجية- النقدية- البنائية- ما وراء البنائية. قد لا تتلاءم كلية في مقولاتها وأفكارها مع تحقيق الهدف المنشود للدراسة اما العامل **الثاني** فيكمن في قناعتنا بان هناك مقولات أخرى يمكن ا ن يفرزها الميدان وهي ذات صلة بالموضوع ولئن كان ميدان الدراسة هو المقهى فلطالما كانت هناك مقولات جديرة بالاستعمال لبلورة رؤية جديدة حول الموضوع في اطاره الزمكاني لا سيما اذا كان يتسم بقلة الدراسات السوسيولوجية التي تصدت لمعالجته او ساهمت في التاطير النظري والمنهجي تجاهه على شكل ما هي عليه دراستنا وعلى هذا الاساس وعلى غرار الدراسات السابقة يمكن استنباط واستلهام انماط كفيلة بتحليل الخطاب بما يراعي خصوصية المجتمع على قدر

يعكس توظيفا اقرب الى الحقيقة والواقع وذا جدوى عملية لمختلف التنظيرات اذ يمكن في هذا الصدد التمييز بين عدة انماط في تحليل مضمون الخطاب او قراءة هذا المضمون في اطار الواقع الاجتماعي.

***النمط الاول : -الفهم الاستنساخي**

وهو ذا بعد واحد والذي يحاول الباحث في اطاره ان يحلل مضمون الخطاب ويعرضه كما قاله او كتبه صاحبه وذلك باقل قدر من التدخل من جانبه. ومع هذا فانه لا يخلو أي هذا النمط نهائيا من التاويل وان اقتصر على نطاق ضيق بقصد تحقيق هدف محدد.

***النمط الثاني : الفهم التاويلي الاستنطاقي**

وهوذا بعدين اذ لا يتوقف الباحث فيه عند حدود التلقي المباشر او يكتفي بمحاولة اعادة عرض مضمون الخطاب وانما يذهب الى تاويله وتفسيره بغرض محاولة اعادة بنائه بشكل يجعله اوضح تعبيرا عن احدى وجهات النظر التي يحملها الخطاب صراحة او ضمنا ومن ثمة فان هذا النمط من فهم الخطاب ينطوي على بعدين احدهما يعبر عنه صاحب الخطاب او بالاحرى منتجه اما الثاني فهو بعد ينطلق منه الباحث في تاويله للخطاب. ويتفق هذا مع ما ذهبت اليه بعض الدراسات خاصة المتعلقة بتحويل الخطاب الى نصوص وكلمات تحتاج لان تكون موجهة بالاساس

الى استقراء افاق التوقع حول مستقبل الخطاب الذي يعاد انتاجه بصورة االخرى اذ ما تمت قراءته بطريقة مغاييرة وبالتالي استخلاص عديد الدلالات الموجودة في الخطاب.[1]

(1)-RAMP WILLIAM JOHN.DURKHEIM AND PARSONS. A STUDY IN THE POLITICAL DISCOURS OF SOCIAL THEORY PHD YOUR UNIVERSITY CANADA VOL 53-9A-1991 p3385-3386

* **النمط الثالث :- الفهم التشخيصي**

ويهدف هذا النمط الى تشخيص عيوب الخطاب دون محاولة لاعادة بناء مضمونها. والى ابراز جوانب الجدة فيه ويعني هذا بقول اخر ان الكشف عن تناقضات الخطاب وتعرية عيوبه يعد المقصد الجوهري لهذا النمط من انماط فهم الخطاب.

كذلك تبرز ايضا في نفس السياق محاولات نظرية اخرى لتحليل الخطاب والتي ميزت بدورها ثلاثة انماط رئيسية

- **النمط الاول :** وهو النمط الذي يحاول فهم ذلك الذي لم يقله الخطاب او ما يعرف بالمسكوت عنه في الخطاب وقراءة مضمونه في اطار الواقع المجتمعي[1]

-**النمط الثاني :**يدور حول تحديد ذلك الذي يريد ان يقوله صاحب الصاحب الخطاب بدلالات مختلفة وغير مباشرة من خلال ألفاظه وتعبيراته دون ان تعلن او تعبر عنه صراحة تلك الألفاظ

- **النمط الثالث :** يسعى إلى التحليل المباشر لما قاله الخطاب وما أعلن عنه صراحة. هذا النمط هو الذي تبناه – ميشال فوكو- ودافع عنه في طار ما اسماه بالمنهج الاركيولوجي او التحليل الحفري للأشياء كما وجدت مشبها ذلك بما يحدث في علم الآثار حيث اعتبر ان تحليل الخطاب لا يعني

(1) محمد عابد الجابري المرجع السابق ص12

تأويله او شرحه بل يعني الحفر عن الأشياء وإظهارها اذ يسعى في هذا الى إقرار الواقع كما هو لا تفسيره او بمعنى ادق قراءة الخطاب كما هو دون إعادة إنتاجه أو تشكيل بنائه على حد رأيه.[1]

وبناءا على تلك التفسيرات كلها ومن اجل دعم مسار البحث الذي قد يتبنى هذا النمط الاخير في فهم الخطاب وهذا لحتمية فرضتها طبيعة الميدان التي اعتمدت على تحليل ما يصدر من منتجي الخطاب وما يعلنون عنه صراحة دون اللجوء الى مسالة التاويل لا لشيء الا لان الخطاب الصادر في المقهى هو خطاب يتميز بالعفوية والتلقائية انه باختصار خطاب غير رسمي حتى وان تعمدنا في بعض الاحيان تبيان بعض الابعاد والدلالات فهذا فقط من باب الشرح لا التاويل وهذا لغاية وحيدة هي التوضيح لا غيرو حتى لا نقع في الاستفاضة في تاوؤيلات لا تنتهي والتي بامكانها ان تدخلنا في دوامة فلسفية لا تفيد البحث في شيء ومنه فان قاعدتنا النظرية واضحة وهي تحليل الخطاب كما جاء على لسان اصحابه وما يدركونه هم انفسهم تجاه قضاياهم الاجتماعية المعاشة والتي هي محل اهتمام غالبية المجتمع.في شكل خطاب تلقائي يبدا عندما ينتهي الخطاب الرسمي ليعود إليه و هذا في علاقة طردية وقد يمكن تمثيله في الشكل الاتي

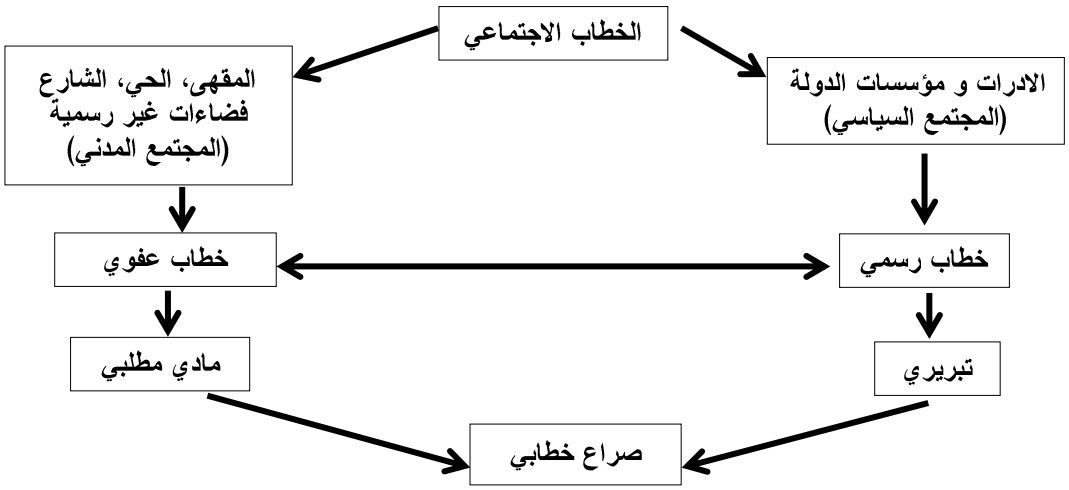

(1) Ramp william john – Durkheim and parsons. a study in the political discourse of social lheory Phd- yourk university. Canada vol 53-9A-1991p3939

- **الخطاب والحياة اليومية**

من المؤكد ان المجتمع لا يعرف السكون انه ورشة كبيرة للبناء المستمر الذي يخضع للحركية على الدوام بما تتواجد فيه من تفاعلات اجتماعية شتى بين الواقع ومصالح فاعليه' التي تجعل من الانساق شبكة هامة مع مختلف الوضعيات وهذا كله من اجل توفير جملة التوازنات العامة لهذه الانساق للافراد والجماعات معا ولان الموضوع الذي نعرضه يتناول بالبحث دراسة الخطاب داخل هذه العلاقات الاجتماعية ومختلف الصور التي يتبلور فيها في اطار لا يخرج عما يسمى بالمعاش او اليومي والذي لا يتوقف الامر فيه عند مساءلة الواقع وانما الكشف الخطاب باعتباره ممارسة لغوية يؤثر فيها الموروث الثقافي ومختلف التمثلات والتصورات او المخيالالذي يعطي للاشياء دلالاتها ومعانيها داخل الفضاء [1] لانه مهما يكن فان السلوكات الثقافية هي الكفيلة الى التخليص بان العلاقات الاجتماعية هي ذلك الكل المركب والمعقد والذي يشمل العلاقات الاقتصادية'علاقات القوة والسلطة وغيرها بما فيها علاقات التواصل اللغوي او علاقات المعنى، وكل هاته العلاقات تكرس لتحديد العلاقات الاجتماعية الكلية التي يبقى مصدرها الرئيس هو المعاش بحيث ان البحث فيه هو في الاصل بحث في الممارسة اليومية ومختلف الافعال والاقوال وهذا من خلال ثنائيات تبدا جلية فيه كالقبول والرفض'والتوافق والتناقض'التفاعل والصراع' المواجهة والالتقاء[2].....كما انه بحث كما سلف وان قلنا في المسكوت عنه والواقع والمخيال وبحث كذلك في الدلالات والابعاد والمعاني كما ان الملاحظ الفطن يرى فيه انه رجوع الى البحث في الوجه الاخر

(1) زواوي بغورة مرجع سابق.

(2) HOGGART.RICHARD.LA CULTURE DU PAUVRE. TRADUCTION DE JEAN –CLAUDE PASSERON. EDITIONS DES MINUIT. PARIS 1970.

لفلسفة الحياة تلك التي تنفي الحتميات الاجتماعية وحورا هاما ناتج عن عفوية مؤسسة لعلاقات اجتماعية مشتركة لها من المعاني والدلالات ما لها من خلال صورها المتداولة في الواقع المعاش.

* دلالات الواقع المعاش

– دلالات السلوك والاتفاق الضمني للعيش في شبكة علاقات المجموعة.

-دلالات الانتماءات الاجتماعية والثقافية.

-دلالات الفضاء اوالحيز او المجال على اعتبار المكان منبت التصورات والادوار.

-دلالات الرفض والقبول للمعايير والقيم والضوبط ومختلف الوضعيات.

-دلالات المكنون او المسكوت عنه والاقصاء والمتخفي والمخيف.

-دلالات مختلف التعبيرات اللغوية والخطابية. [1]

(1) Lefebvre, henri : Critique de la vie quotidienne. L'Arche. Tome II Fondement d'une sociologie de la quotidienneté Paris 1961.

المعاش أو اليومي

-إن تعريف المعاش لا يقف عند تعريف معجمي محدد لما هو حسي وله علاقة بتجربة الحياة الخاصةبل الانطلاق منها لبلورة المعيش من حيث انه تصور للمكان كميدان وباقي الأمكنة كمجالات لتجليات فيها من الحقيقة ومن الكذب' ومن خلال الزمان الفعلي وباقي الأزمنة. ومن خلال الصور المأخوذة من التفاعل والحراك والإدراك والتصورات ورؤية الأشياء.[1]

البحث في المعيش هو بحث في تمفصلات التفاعل بين المادي والرمزي'في التكيف بين المكاني وثنايا المعنى والدلالة في مدلول الحركة واليات التجسد. ومن هنا تبرز دلالات معاني الرفض او القبول او المقاومة التي تتشكل او تاخذ تشكلها من اطار العلاقات الاختماعية والرباط الاجتماعي بصفة عامة.

كمايعمل ويمكن المعيش من فهرسة وترتيب وتصنيف الهياكل المعيارية. ومن هذا الترتيب يصبح بامكان الفاعل التموقع داخل النسيج الاجتماعي هذا الاخير يسمح بتقييم اشكال الفعل انطلاقا من الشبكة المعيارية التي تاخذ شكل النموذج عبر هذا التصنيف او هاته الفهرسة وتصبح الصورة احد اشكال التواصل لانها تستجيب لترقبات الفاعل وانتظارات المجموعة. لهذا فان الصورة هي احد اهم اشكال التمظهر التي يبدو عليها النسق من خلال العلاقة بمسالة الضبط واليات انتاج وتصدير هذه الصورة اذ انها هي بالذات من تبلور معالم الاندماج النسقي التي لا تعكس بالضرورة الاندماج الاجتماعي. لان الانساق المتحدث عنها يمكن ان تكون منفردة جزئيا اذ تبدو فرعية وغير متناغمة مع الانساق الاجتماعية الكلية. ولقد تناول =جورج سيمل= مسالة المعنى من خلال التفاعل الاجتماعي وديناميكية المجموعة. فالمعاش هو تشكل لمختلف انماط الحياة الاجتماعية وتجسيد لشبكة العلاقات الاجتماعية التي ينصهر فيها الافراد داخل المجموعة. لكل هذه الاسباب فان المعاش هو ايضا المتخفي واللامرئي والمسكوت عنه.

---

1) Pop L : Espaces discursifs. Pour une représentation des hétérogénéites montrees peters louvin 2000

فثراء المعاش يبرز هذه المظاهر المتعدة للفعل ويظهر مختلف هذه الحركات ويفتح المجال لكل الفاعلين الاجتماعيين لمراوغة المعايير الاجتماعية وتجاوزها من اجل الاستفادة القصوى منها. وتكييفها وفق مواقع كل فاعل ووقف معادلة الحد الادنى من الكلفة والحد الاقصى من المردودية.. فعلم الاجتماع اليومي او المعاش سيوظف هنا بالمعنى الذي يعطيه له= انطوني غيدنز= الذي يؤكد العلاقة والمعادلة بين الفعل والبنيةaction/ structure بحيث ان معالجة الحياة او الواقع اليومي في حينه سوف يسمح لنا بوصف تلك الافعال والحركات والسلوكات التي اصبحت من الطقوس والاعراف والتي تصبح كذلك متفق عليها ومضبوطة اجتماعيا عند الفاعلين الاجتماعيين. كما سيسمح لنا بفهم ميكانزمات اختراق الافراد لهذه الاعراف والطقوس[1].

ونجد كذلك ان =هنري لوفيبر= من اولئك الذين يعتبرون الحياة اليومية او المعاش كاحد المستويات الشاملة للاقتراب السوسيولوجي. بحيث خصص عدة مؤلفات للحياة اليومية اذ راى فيها ان مصدرا للضغوطات والتراعات والتغيرات وكل التحولات التي يتخذ منها علم الاجتماع مواضيعا له. فعلى راي بعض الباحثين في هذا الميدان امثال = كلود جافو= فان علم اجتماع الحياة اليومية يمكن تصنيفه في خانة علم اجتماع الفهم او الادراك اذ بامكانه ان يتحلى ببعض من الموضوعية. كتلك التي التي يضيفها النقد الايبستمولوجي للعلوم التي تدرس الانسان فمن الجدير هنا الاهتمام منذ البداية بعلم اجتماع المعاش وما نفهمه منه حتى لا يبعث فينا الخلط والالتباس او الغموض وعليه فانه لا يجب من علم اجتماع اليومي او المعاش مجرد خطاب حول الحداثة ومنه خطاب نحاول من خلاله تحليل وشرح سلوكات وتصورات الافراد والجماعات من خلال هذا المنضورلهذا فانه من الضروي اختيار المفاهيم والمصطلحات من اجل القيام بالتحليل السوسيولوجي الدقيق اكثر منه مجرد سرد او تعليق. [2]

---

1. GIDDENS.ANTHONY.LA CONSTITUTION DE LA SOCIETE. ELEMENTS DE LA THEORIE DE LASTRUCTURATION.TRADUCTION PAR MICHEL AUDET. PRESS UNIVERSITAIRE DE France . .PARIS 1987 p86-
2. Javeau Claude : la societé au jour le jour. Ecrits Sur la vie quotidienne. BRUXEL La letre volé. BR Belgique. 2003 p35-36

الواقع الاجتماعي وعلم اجتماع الحياة اليومية

يمكن القول ان المدينة. الحي. وعلى مستوى اصغر الاسرة كمجتمع مصغر يتواجد في مفترق الطرق وبالتالي فان علم اجتماع الحياة اليومية يفرض نفسه كاقتراب وكاشكالية في حقل علم الاجتماع. خاصة ما يتعلق بمسالة الروابط الاجتماعية. الا ان العديد من الباحثين قد اشاروا الى الغموض الذي يحيط بهذا المصطلح =الحياة اليومية= امثال =نوربر الياس= في كتابه حول مفهوم الحياة اليومية. او =جورج بالنديبه= = محاولة في تشخيص اليومي=1973. ميشال مافيزولي= الظفر بالحاضر= 1989 و=كلود جافو= حول مفهوم الحياة اليومية وعلم اجتماعه 1980. بالاضافة الى مرجعه الحديث=المجتمع يوم بعد يوم. وباحثون اخرون اشاروا الى صعوبة هذا المفهوم.[1] و بالاعتماد على اعمال غيدنز للمناقشة .مثل تلك الافكار التي جاءت معه في كتابه = النظرية الهيكلية البنائية لغيدنز اين استعان بعدة افكار مستلهمة من ارفين جوفمان= حول التفاعل الاجتماعي للافراد والوضعيات التي يتواجد عليها هؤلاء اثناء معاملاتهم اليومية وفي حالات معينة ومحددة بعبارات اخرى فالارتكاز سوف يكون بمقاربة لنموذجين اساسيين هما الفعل والبنية. او ما يعرف عند غيدنز بازدواجية البناء وهي محاولة لادماج القطبين عن طريق اعادة بناء شبكة المفاهيم المتعلقة بالبنية او النسق والفعل لانه من الراي الراجح ان كافة المقولات التي انبنى عليها المجتمع غير قادرة وحدها على الإدلاء بكل ما يفرزه الواقع المعاصر من ظواهره. فكل من الفعل والبنية يشكلان شيئين متكاملين لا يمكن ان نفهم الواحد من دون الاخر فالبناء الاجتماعي عبارة عن مجموعة من الافعال والعلاقات المرتبطة يعمل الانسان على نسجها والتعبير عنها خطابيا وان هذه الافعال مفعمة بتاثرها بخصائص بنية المجتمع الذي تتواجد فيه ويعمل الافراد على اعادة انتاجها ولو باشكال مختلفة عن طريق تلك التفاعلات والافعال والاقوال يتم الانتقال من التفكير الى الفعل او القول وهذا كله تحت سقف الخصائص المشتركة للبنى الاجتماعية لهذا المجتمع او ذاك.[2]

---

1. H.Febvre : La Vie Quotidienne dans le monde moderne. Edition gallimard Paris . 1968
2. Giddens مرجع سابق ص87

وفي محاولة حديثة2003 والتي ذكرناها انفا راح =جافو= ليوضح معاني مفهوم اليومي او المعاش والتي ادرجها فيما يلي/

-1- لا يدرس اليومي مثل المؤسسات الاخرى كالاسرة. الرياضة. المودة.

علاقات العمل..... بل هو عبارة عن معبر او ارضية ابستيمولوجية

-2-لا يعني اليومي او المعاش الروتيني او المعتاد او المبتذل BANAL

-3- اليومي لا يعني التخلي وفقدان المعاني

-3- اليومي لا ينفي التاريخ او مسارات الافراد او الجماعات التاريخية

-4- اليومي هو مجال للتغير في استمراريته فهو مجال للاستمرارية على اساس التغير

-5-اليومي ليس واحدا عند كل الفاعلين فالحياة اليومية بالنسبة للفقير ليست نفسها عند الغني

-6-اليومي يحرض على الكذب والمراوغة والمفاوضة.... اليومي هو انسياق الى تطبيع البناء الاجتماعي والثقافي وفي نفس الوقت يعترف برخاوته وهشاشته

-7- اليومي هو تصوير للوضعيات الانسانيةفي المكان و الزمان بالأفعال والخطابات

-8- اليومي هو المعنى الخالص لكيفيات عيش الناس في كل حيثياتها

-9- اليومي هو جملة التجارب التي تصحح يوما بعد يوم فهو بحث عن المستقبل

-10- اليومي هو صورة الحياة بكل خصائصها وفي كل حقولها.[1]

(1) Javeau Claude : la societé au jour le jour. Ecrits Sur la vie quotidienne، المرجع السابق ص39-43

و من خلال هاته المعاني يمكننا القول بان علم الاجتماع هو علم مستخلص من اليومي او المعاش ومثلما هو الشان بالنسبة الى سيمل الذي يرى بان الوجود هو للاشخاص و الافراد اما التحجج بالاجتماعي فهو عبارة عن اعذار يلجا اليها اولئك الذين يدعون دراسته أي الاجتماعي من انظار غيدنز. ان المعنى الذي يعطيه كلود جافو لمصطلح اليومي او المعاش كما جاء في تنظيره فانه يمكن الاتفاق معه الى حد بعيد والذي يصبح فيه معنى اليومي بعيد كل البعد عن ذلك المعنى الذي هو متداول والذي يعطيه له الحس المشترك أي المعاش او اليومي هو بالنسبة اليهم مرادفا لليوم la journée وهنا يكمن الاتفاق مع جافو بحيث يصبح اليومي مرادفا للاجتماعية la socialite بمعنى ان المعاش هو اكبر من ان يحصر في اليوم فهو ذلك الكل وما يحمله من تعقيدات في الاطار الحضري المعقد هو بدوره. اذ انه يتنافى مع النظرة الضيقة للاشياء لاعتبارات ان الاواصل العلاقاتية ينبغي ان تؤخذ في اطارها الديناميكي الخلاق لعملية الانتاج واعادة الانتاج للمجموعات والمجتمعات وذلك في اطار السيرورة الدائمة ومتغيرات الواقع وليس كنتيجة للملاحظة استاتيكية ثابتة او صماء.

وعلى العموم وفي اطار الزاوية او المسعى الادراكي والفهمي لما يرجو علج اليومي ان يحققه والمتمثل في الكشف عن معاني السلوكات والتصورات المختلفة الموجودة في حقل شتى العلاقات الاجتماعية والمعبر عنها خطابيا. (1)

(1) Pop L المرجع السابق ص

ويحذرنا جافو من الاتخاذ من = اليومي المعاش= موضوعا في حد ذاته للدراسة والعمل على تحويل وتجسيم réification المعاناة اليومية للافراد بكل تعقيداتها حتى تصبح مجرد اشياء لا معنى لها ويواصل جافو قوله بان علم الاجتماع الكلاسيكي يجعل من اليومي المعاش مجرد فئات احصائية وعيادية كلينيكية على راي غيدنز

و امام الفوضى الكبيرة التي التي تطغى على المجتمعات بصفة عامة بحكم تعدد الانتماءات والمرجعيات. نجد بان هذه الفوضى تجتاز المعاش اليومي وتتعداه. مثلما يفعل الكذب في كل حقيقة. واللااخلاق في كل الاخلاقيات. والاسطورة والخرافة في المعرفة[1]

توظيف واستثمار علج في الحياة اليومية=المعاش=

لقد تم استعمال وتوظيف علم الاجتماع الحياة اليومية/ المعاش كمستوى من مستويات الفهم

وهذا باستثمار المستوى المعرفي في هذا العلم فالخلفية الابستمولوجية لدراسة المعيش تنطلق من الفصل بين سيرورة المجتمع وصيرورته اذ ان العلاقة تبقى وطيدة بين الفعل والمعيش عبر تداخل مستوياته فيعتبر السجل الرمزي للادارة والمخيال والذاطرة الجماعية

برمتها فالقضية من هنا هي بحث في الكيفية التي تمكن من ادراك وفهم حركية المعاش حيث يتشكل هذا الاخير من اشكال مادية محسوسة واخرى رمزية تتموقع داخل المخيال[2] تتداخل فيما بينها مشكلة مزيجا من القيم المتضاربة والمتعارضة منتجة انماطا حضرية جديدة يشوبها

(1) Giddens المرجع السابق. ص 44

(2) Pop L المرجع السابق.

الصراع بين القديم والحديث وبين الوافد والمحلي هاته الازدواجية التي يرى فيها الدكتور جمال غريبي انها تشكل الاستثناء في المجتمع الجزائري[1]

اما بخصوص استعمالات علم اجتماع الحياة اليومية في اوربا نجد ا ن توظيفاته جد محدودة

بحيث نجد انه من الباحثين الذين اشتهروا بدراساتهم في هذا المجال انطوني غيدنز الذي الذي مثله وفق معادلته الشهيرة التي سلف ذكرها =الازدواجية بين الفعل والبنية. اين يرى ان معالجة الحياة اليومية او الواقع المعاش في حينه سوف يسمح لنا بوصف تلك الحركات و الالسلوكات والتصرفات التي اصبحت تمثل الطقوس والاعراف عند الفاعلين الاجتماعيين[2] ومن بين الباحثين المروجين لعم اج المعاش الباحث الفرنسي هنري لوفابر الذين اعتبر كاحد المستويات العامه للاقتراب السوسيولوجي ومن بين مؤلفاته المشهورة = الحياة اليومية في العالم المعاصر 1968 ومرجعه الهام= نقد الحياة اليومية.اسس علم اجتماع الحياة اليومية 1961 كما نجد من جانب اخر كلود جافو الذي صنفه على المستوى المعرفي على انه يندرج في اطار علم اج الفهم وهذا في مؤلفه الشهير = المجتمع من يوم الى اخر 2003 كما نجد ايضا الباحث ارفين جوفمان في مؤلفاته ومنها= الاخراج ونفوذ الحياة اليومية 1993 كما يعتبر شوتس من المساهمين في هذا المجال في كتابه =الباحث والمعاش= او كما يسميه بعلم اجتماع الداخل =1987[3]

---

(1) Djamel Guerid L'exeption Algérienne Edition La Casbah. Alger 2007

(2) Gidense p44 المرجع السابق

(3) Schutz Alfred Le Chercheur et le Quotidienne Phénoménologie des science Sociels p24 Klincksick méridiens Paris 1987

اذن وكما يبدو ان هذا العلم يتسم بالتعقيد والعديد من الخلفيات الابستمولوجية لكل فرد حسب تموقعه وما يعاب عليه ان هناك من مواضيعه ما تتفتقد للموضوعية وهذا نظرا لما يعرفه المعاش من شساعة وثراء اللذان يعكسان تلك المظاهر المتعددة للفعل بما فيها افعال الحيلة والمراوغة تجاه المعايير والقيم بطريقة استغلالية كل حسب مكانته داخل النظام الاجتماعي(1)

المعاش بين علم المجتمع الكلي وعلم المجتمع الجزئي

ان الاطار النظري الذي رايناه والذي يمكطن ان ندعم به عملنا فاظافة الى ما جاء به =جافو= من ملاحظات تبدو مهمة على دعائم اخرى جاء بها هينري لوفابر= وكذلك جوفمان اذ ان كلاهما يعتبران من المختصين في ميدان علم اجتماع الحياة اليومية

فقد عمد جوفمان في مقارباته ودراسته للمجتمع الى التركيز على الافعال والنشاطات المتبادلة بين الافراد. بحيث انكب اهتمامه على التفاعلات الاجتماعية وعملية الاخراج او ما اسماه بالتمسرح mise en scène للنظام الاجتماعي ordre social تكون فيه القواعد والطقوس والممارسات مضبوطة ومقننةritualiséesويؤكد جوفمان بان العالم هو عبارة عن مسرح اين يتحول الفرد فيه او ممثل يستعرض ادوارا امام العموم مؤديا ولاعبا دوره الخاص به في الحياة اليومية مثل المسرح فان الممثل بحاجة الى مجال وفضاء يشبه حلبة المسرح والى كواليس من خلال هذا العمل الفكري فان ما يهم جوفمان هو ذلك النظام العامordre public (2)

(1) Gidens p 38 المرجع السابق

(2) Goffman Erving : La Mise en Scéne de la vie quotidienne tome 2. Les relations en public ed. Minuit Paris 1973 p12

الذي يشترط قواعد وممارسات مضبوطة ومحددة ومقننة وطقوسيةrègle rétualisées ويقول جوفمان في هذا الصدد=انه عندما يدخل الافراد في علاقات متبادلة ومضبوطة فان هؤلاء يلجأون الى ممارسات عادية ومالوفة أي يلجاون الى استخدام وتوظيف نماذج تتكيف والقواعد الجارية التي تحمل في طياتها معاني التاقلم. التسلسل والتملص. الانحرافات الخفية.المخالفات التي يمكن تجاوزها. حتى التجاوزات العلنية والواضحة [1] ويتمظهر ذلك حتى مستوى الخطاب انهم يبتكرون شكلا من الاستراتيجيات لتحقيق النسيج الاجتماعي العلائقي الملائم الذي لا تهمه الطريقة بقدر ما يهمه التكيف الشيء الذي يزيد في حاجاتنا كباحثين لفهم الظواهر الاجتماعية من الداخل او ما يسميه =شوتز sociologie du dedans ومن جهته اكد لوفابر على اهمية الحياة اليومية خاصة مكانة= اليومي او المعاش= le quotidien في عملية المقاربة لمسالة الروابط الاجتماعية بشكل من الجلاء رغم كل تعقيداتها وثرائها وتنوعها.

ويعرف لوفابر مفهوم الحياة اليومية على انه تلك الممارسة الاجتماعية في اطارها الكلي وما يمكن ملاحظته فان فكرة –الكل– هذه تشكل الاساس في تفكير لوفابر. الذي يجعل من الحياة اليومية للافرد –مستوى– او سلما للمجتمع الكلي الشامل[2].وكان قد سبقه في هذا غورفيتش.

ونستنتج من هنا ان الحياة اليومية حسب لوفابر لن يكون لها معنى الا في اطارها الكلي المبني

---

(1) Goffmane erving p13-14 المرجع السابق

(2) LEFEBVRE LA VIE QUOTIDIENNES DANS LE MONDE MODERNE p144مرجع سابق

على اساس مستويات متميزة. لكن اذا كانت-فكرة الكل هذه قد تنزع كل ثقة ومصداقية لمفهوم الحياة اليومية كموضوع متميز لعلم الاجتماع فهذا لن يقلل من العلاقة الوطيدة. وعليه فان الرؤية لمستويات ما يسمى بالماكرو والميكروسوسيولوجيا أي الكلي والجزئي تبقى ذات علاقة جوهرية اذ انه من المستحيل التطرق الى طرف —الكلي- دون التطرق الى الطرف الاخر —الجزئي- والعكس صحيح فهي علاقة جدل وتكامل في نفس الوقت. وبالتالي فانه لا ينبغي ان يفهم من هذا الكلام بان المواضيع المدرجة ضمن علم الاجتماع الجزئي هي مواضيع ثانوية او جزئية بل هي في الحقيقة مواضيع بارزة فرضت نفسها على الساحة الاجتماعية ولها مكانتها في تفكيك وتفسير التفاعلات اليومية فعلم الاجتماع الجزئي او الميكروسوسيولوجيا يساعد بالخصوص على توضيح الكيفية التي يعمل بها الفاعلون الاجتماعيون على مراقبة وتاطيرencadrer. بالمعنى الجوفماني للمفهوم.تجاربهم للوضعيات والحالات التي يتواجدون بها. وذلك حتى تكون سلوكاتهم مقبولة اجتماعيا. ففي الحياة اليومية تنسج علاقات انية ومباشرة بين الاشخاص والافراد. أي من شخص الى اخر. لكن العلاقات التي تربط هؤلاء هي علاقات اشمل و اوسع. وحسب لوفابر فان الميكرو او الجزئي يفسره الماكرواو الكلي هذا الاخيرالذي ياتي كمكمل لقصر ومحدودية الميكرو [1] وعلى العكس من ذلك فان الاقتراب الذي جاء به جوفمان هو اقتراب مخالف تماما لما اتى به لوفابر في مسالة الميكرو والماكرو الذي كان يولي اهمية بالغة لكل الاشكال الروتينية التي تطفو وتعرض نفسها بصفة عفوية للتحليل على اساس انها وحدات بسيطة تعرض نفسها للملاحظة الامبيريقية

(1) Goffmane erving p24 المرجع السابق

فجوفمان يتخذ موقف الاثنوغرافي وعالم الاجتماع ليصف افعالا مجالها الشارع مثلا. او الاوساط المغلقة كالسجون والمستشفيا ت وحتى المقاهي. او رموز واعراف سائدة في المجتمع بالاضافة الى ذلك فهو يعمل على ملاحظة اشكال التنظيم الاجتماعي داخل هاته الامكنة التي تبقى بمثابة فضاءات مفضلة لملاحظة النماذج السلوكية اليومية للافراد بما فيها النماذج الخطابية وفي هذا الصدد يرى ا.جوزاف- ان تحليل هذه النماذج السلوكية التفاعلية التي تاخذ مباشرة وكميدان للملاحظة الاماكن العمومية وما يجري فيها من محادثات تعمل اساسا على استكشاف الاشكال التي تتوسط عملية التنشئة الاجتماعية التي تتموقع بين الطرفين المشكلين من السلوكات العادية الروتينية للتواصل والرباط الاجتماعي. وكذا غليان الجماعات واثارها وبين ما يوحد ويجمع وما يفرق ويثير الانوميا —اللامعيارية-. ويتخلل هذه الاشكال المبتذلة كالتجارة التي تتم بين الاشخاص عادة كالشدة والحدة والضغط فهي انعكاسات ومواقف تحررية تودي الى التنازل والتراضي وبالتالي يحدث نوع من نكران الذات وانقسامها فكل هذه الاشكال تؤدي الىتدعيم وتمتين الرباط الاجتماعي او تفكيكه واضعافه ومنه تقديسه او تدنيسه [1] ففي الحياة اليومية يتم التعبير عن الضغوطات والتراعات والتطورات الايديولوجية وكذا التغيرات والازمات وشتى المشكلات الاجتماعية اليومية والتي يجعل منها علم الاجتماع العام موضوعات له.هذا ما يجعلنا نفكر في تلك العلاقة التي تتحول من علم الاجتماع الجزئي الى علم الاجتماع الكلي وبالتالي المرور من الدراسة

---

(1) Joseph Isaac,Goffman Erving et la micro sociologie, presses universitaire de freance 1998p42

التي ترتكز على الحياة اليومية نحو نظرية سوسيولوجية اكثر شمولية فمن الامثلة الجديرة بالذكر التي تمثل لنا ذلك المرور من الجزئي الى الكلي من الحياة اليومية نجد في بحث اجراه كل من سرفس و فوايي تحت عنوان انتاج او اعادة الانتاج ان مقاصد الباحثين و ايجاد علاقة تجمع بين الديناميكية النفسية و العاطفية و الديناميكية الاجتماعية حيث تمثل الاولى في شعورها بالدنب ظابط او مراقب معياري الذي يجد بدوره فعاليته باسناد المعيار الاجتماعي فالشيء الذي كان يراد استظهاره هو كيف ان الشعور بالدنب يؤسس لامتدادية و تواصل في الترتيب و التوفيق للنشاطات خاصة ما تعلق بالسلوكات التي تؤثر بدورها على الخطاب وان هذا الاحساس الفردي بالذنب هو نفس احساس بالابتعاد الفردي عن معايير المجموعة حتى وان كان ذلك بطريقة واعية ومقصودة [1]

او غير معلنة في خضم الخطاب مما يعبر عن وظيفة اندماج ثقافي معمم على كل النماذج السلوكية على مستوى الفرد الوسط في المجموعة والامتداد اوالاستمرار في الزمن لتلك السلوكات وما يمكن استخلاصه مما جاء به ريمي وغيره في بحثهم هو ان هناك معطيات داخلية واخرى خارجية مؤثرة في كل علاقات الفاعلين بما في ذلك تواصلهم اللغوي او الخطابي[2]

(1) Joseph Isaac,Goffman Erving et la micro sociologie, presses universitaire de freance 1998p45

(2) Lilian voyé ; servais Emile et Remy jean: produire ou hroproduire. De Boeck Tom 1 (conflits et transaction social.) Bruxel 1978 p29

ان ما اسس له جوفمان من تحليل للواقع اليومي المعاش من طرف الافراد يؤكد ويبرز دور البيئة المحيطة بالفرد. وكذا الممارسات التي يقوم بها القاطنين بالمدن بما فيها النشاطات التي قد تبدو لا معنى لها ولا اهمية بحيث تختفي عن تلك النظرة الشاملة للمجتمع ان في هذا المثال وفي مثل هذا الاقتراب الذي بواسطته يتبين بان الحياة اليومية ما هي سوى بناء اجتماعي منظم يثير اهتمام وفضول الباحثين المهتمين بفك شفراته.

ففي الواقع ان هذه الأشياء التي تبدو تافهة لدى البعض او ثانوية لدى البعض الاخر انما تعمل في الحقيقة على إبراز حوادث وظواهر اجتماعية لها علاقة بالمقدس.بشبكات التضامن وبالسلوكيا ت اليومية التي تنتج الظواهر الاجتماعية الأخرى التي يهتم بها علم الاجتماع مرتكزا فيها على المسعى الفهمي الإدراكي المبني على التفسير الذي يسعى الى التوضيح بان المعاش اليومي انما هو منطلق ومجال الإبداع والاستمرار بكل ما فيه من دلالات ولقد رئينا سابقا. الموقف النظري الذي اتخذه غيدنز عند حديثه حول — الازدواج البنائي او الهيكلي. أي ان الواقع الاجتماعي يتكون من الفعل والبنية. الذي الذي من خلاله يصبو ان يتجاوز الخلاف بين علم الاجتماع الكلي وعلمالاجتماع الجزئي هذا الخلاف الذي يصفه غيدنز على انه حرب معرفية غريبة[1] على حد تعريفه.

(1) Gidens p43 المرجع السابق

ان الظواهر الاجتماعية لا تنتمي بصفة آلية إلى حقل معرفي معين لهذا نرى ان الوسيلة الأنجع في عملية البحث. هي العمل بمبدا تنويع وتعدد الاقترابات التي سوف تساعد دون شك على التوضيح والفهم والتمييز في طبيعة الحالات والوضعيات الاجتماعية التي تاخذ شكلها في سياق معين.هذا بالرغم من الصعوبات المنهجية التي يتميز بها هذا المسعى لهذا فان ازالة كل الحواجز بين مختلف الاقترابات عملية ضرورية واساسيو خاصة اذ ما علمنا بان الواقع اليومي يفرض نفسه كمؤشر لكل الابعاد الخفية وكذلك كعامل للتغير الاجتماعي.

وانطلاقا من هذا الواقع الذي يرتبط بالتحليل للاشكال التي تاخذها العلاقات بين القيم التي ترتبط بالذاكرة الجماعية وتلك القيم الجديدة–الحديثة– للمجتمع وهذا ليس بالمعنى مقابلة نمطين او ما يعرف عادة بالتقاليد والحداثة انما هي محاولة لفهم عواقب الماضي في اطار الواقع المعاش الراهن ومنه فان الفائدة من هذا الاقتراب هو محاولة ابراز الاشكال الاجتماعية الخاصة والمحددة التي يتقاطع ويتجادل فيها الماضي بالحاضر والذي يسمح باستكشاف كل الغموض الموجود في شتى اشكال العلاقات المعروضة في المجتمع والتي يشكل التواصل والخطاب إحداها الذي يعرض هو بدوره الى كل التفسيرات المحتملة بكل معطيات هذه الازدواجية وما فيها من التناقض .

فالمجال العمومي. والمجال الخص –الاسرة– يصبح كل منهما عبارة عن خارج مفتوح على كل الخروقات اين يبدع فيها الافراد عن طريق المزج بين التحايل والانحراف عن المعايير المتفق عليها[1]

(1) Vulbeau Alain : la junesse et la rue. Desclée de brouwer, Paris 1994 p14.

في المجتمع والاعتماد على استراتيجيات بوعي او بدون وعي من اجل اهداف خاصة مسطر لها.

فمثلا الاشكالية الدائرة حول فئة الشباب وتواجده في مختلف الفضاءات كالشارع او المقهى التي تشكل مصدر هام يتمظهر فيه ذلك النقاش حول مسالة التضارب والمفارقة بين —الداخل —و-الخارج بالرغم من اعتبارها كمجالات حساسة وخطيرة في بعض الاحيان الا انها مجالات حيوية يلجا اليها الافراد للتنفيس عن الروح الشيء الذي هو غير موجود في المجال العام كالاسرة مثلا.[1]

وعليه فان الاعتماد على علم اجتماع الحياة اليومية كاقتراب يساعد لا محالة على فهم التفاعلات في اطارها الاجتماعي وضمن منضور اشمل. بحيث يكون فيه الواقع اليومي عبارة عن مزيج من القيم المتعارضة والمتضاربة. او حتى تلك القيم التي تبدو هامة واساسية في المجتمع والمتعلقة بكل ما هو فردي وجماعي على حد سواء.

(1) Vulbeau Alain P15-16 المرجع السابق

العولمة و توجيه الملامح العامة للخطاب

لقد اضحت العولمة ذات اهمية بالغة في توجيه الخطاب المعاصر وهذا لعدة اعتبارات

الاعتبار الاول.

ان العولمة تمثل واقعا جديدا يفرض العديد من التحولات التي تجعل من النسق الاجتماعي يعيش الكثير من المد والجزر بما تتيحه من فرص من جهة ومن مخاطر من جهة اخرى اذ انه على هذا الاساس بالذات تتحدد المواقع تحت سقف العولمة التيس يتحدد من خلالها هي ايضا نسبة وعي الافراد وما اذا كانو فاعلين ومؤثرين وقادرين على صياغة ابعاد واقعهم المجتمعي ام انهم مجرد مستقبلين للتاثيرات العولمة ومن ثمة محاواة التكيف معها دون ادنى محاولة لممارسة اية ادوار وهذا ما يعكسه تماما خطابهم الاجتماعي المليء بالتاثر خاصة عند فئة الشباب[1]

الاعتبار الثاني.

هو ان العولمة وخاصة اثارها الجانبية على الافراد وما تفرزه من مواقف تتميز بالتناقض بين الواقع واليثالي في حياة استهلاكية تتطغى عليها القيم المادية يصعب تحقيقها والتي يطرحها الخطاب بشكل يشوبه التشاؤم و التشكيك في امكانية تحقيق انجازات شخصية او مجتمعية في ظل العديد من المخاطر التي تحملها العولمة [2] والتي تاتي بقيم جديدة لا تتواءم والقيم المحلية

(1)هناء عبيد العولمة.مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام القاهرة2001 ص104

(2)محمد بيومي : انحرفات الشباب في عصر العولمة، دار قوباء للطباعة و النشر القاهرة ج 2 سنة 2003ص 9

الاعتبار الثالث

هو ان العالم المحيط وما يكتنفه من تغيرات يعد احد المصادر الرئيسية التي تتشكل في وسطها ثقافة ما تتاسس في حقلها وجهات نظر مختلفة ازاء مختلف القضايا موازاة مع مصادر اخرى موجودة وذات اهمية بالغة لا يمكن التنصل منها وهي التراث الثقافي المتراكم تاريخيا والذي هو حتما يشكل مرجعية خطابية تلاحظ بجلاء من خلال التفاعل الاجتماعي الناشيء في المجتمع يجانب تلاقي المصالح فالمتامل للواقع العالمي المعاصر يخلص الى ان هناك نظاما شموليا جديدا يتعدى الفرد الوحد والمجتمع الواحد والذي هو بصدد التشكل في ظل العولمة [1] وهو ما يغني بالتبعة ان السياق الذي تدور في اطاره مختلف الخطابات الصادرة عن رؤية جديدة هي الاخرى افرز لها التفاعل الاجتماعية المغايرة كانت سائدة عليه في الماضي فبعدما كنا في الماضي ننظر الى انفسنا ونتكلم صرنا اليوم ننظر الى العالم ونتكلم وبذلك توسع مجال الخطاب بعد التغير الاجتماعي المتزامن مع ظهور العولمة [2] والتي اصبحت تنعكس بشكا او باخر على تشكيل صياغات ومواقف و اتجاهات تتجسد من خلال التعاليق التي تؤثر فيها سرعة العولمة وتكنولوجياتها انه فعلا صدام بين المبادئ والقيم بين الوافد والمحلي [3] والملاحظ لابعاد الخطاب من هاته الزاوية يستنتج ان هناك جدلا قائما امام هاته الظاهرة التي تجاوزت حدود واقع المتخاطبين وهذا ما نشهد مجتمعاتنا فعلا والتي صارت خاضعة لانعكاسات العولمة غير المتناهية .

---

(1) رشيد حمدوش: الاستراتيجيات العلائقية : الرباط الاجتماعي و اشكالية التقاليد و الحداثة دراسة ميدانية الجزائر نموذجا اطروحة دكتورة2007

(2)سيار الجميل: ""في مفهوم العولمة" "تعقيد العرب و العولمة بحوث و مناقشات الندوة الفكرية لمركز دراسات الوحدة العربية تحرير أسامة أمين الخولي" م.د.و.ع طبعة 1 ، بيروت 1998.ص36

(3) DJAMEL GUERID . L EXEPTION ALGERIENNE .LA MODERNISATION A L EPREUVE DE LA SOCIETE EDITION LA CASBAH ALGER 2007.

و التي لا تزال لم تعرف بعد الاستقرار لا من ناحية تحديد ابعادها او الوقوف على الغرض النهائي منها بشكل قاطع فبينما تبدو في نظر البعض بمثابة تصرف انساني واعي يتضمن مجموعة من من المبادئ و الاستراتيجيات التي تحتم قدرات معينة لمواكبتها او العمل في اتجاه مضاد لها وايجاد البدائل بمراعاة مختلف الخصوصيات الاجتماعية خاصة الدينية منها الا انه وفي القابل يراها البعض الاخر انها ايديولوجية محتمة لا يملك اي مجتمع ان يختارها او يرفضها بل انه يتوقع لها النماء وتزايد مظاهرها وانها ستتعمق وتتطور لحقبات قادمة[1]

وبغض النظر عن هذا الجدل فلعل ما يلفت الانتباه عند تناول العولمة في علاقتها مع الخطاب انها تترك الكثير من المؤشرات الاولية التي تفيد ان البنى الثقافية التي تدولا في محورها التفاعلات المجتمعية ما هي الا قاعدة للتعبير عن ثقافة مادية استهلاكية مصورة تتلقاها قطاعات غفيرة من المجتمع والتي تامل في الحصول على مقوماتها المادية التي تثير الغرائز من سيارات-ممتلكات- وسائل ترفيه..... الخ وان هذا هو فعلا مل يبوح به الخطاب في شكله الضمني او الصريح على حد سواء وهو ما يكون من شانه ان يعمل على بروز اهتمامات وعادات واذواق وانماط تفكير مشتركة لا تستند الى خصوصية مجتمع او ثقافة بعينها فيكون الخطاب يتراوح بين تكرار عبارات بعينها مثل اريد..... لو كان عندي..... و نفسي نفسي وكل هذه المؤشرات كان لها اثرها الواضح في خلق شكل من اشكال الخطاب الاناني الذي سرعان ما ذاب فيه الضمير الجماعي فعندم تسمع جملة العبارت

(1) BENAATIA Farouk la propriation de l'espace à Alger après 1962 SNED 1978

الصريحة التي يقولها اصحابها مثلا ccp وما علبليش بالبلاد بالنسبة للعامل مثلا ومقولة لو كان غي يجيبي العام مليح ولبغات تقدي تقدي بالنسبة للفلاح والا القضية راهي تيكي ولما عندوش كتاف طفرت فيه..... وغيرها من العبارات لتي تبدو دلالاتها المادية واضحة

لقد تمت الاشارة الى الباحث الانجليزي غيدنز من قبل وذلك لما لهذا الباحث الانجليزي المعاصر من تاثير في المفكرين الاجتماعيين. خاصة من الناحية المنهجية فاعماله بامكانها ان تساعدنا في شرح المكانة التي تحتلها العولمة او الحداثة ضمن التراعات والصراعات الاجتماعية للمجتمع الجزائري فس خضم النسيج العلائقي بصفة عامة ففي كتابه الطريق الثالث يسعى إليه المفكر الى شرح وعرض وتفسير بعض العناصر كاجوبة لتلك المسالة المزعجة والمقلقة في المتعلقة بعالمية الحداثة وما يدور حولها من جل بحيث ينوه الى اهمية ومكانة قضايا الهوية مثلا فالميدان على سبيل المثال يحيلنا الى واقع معقد مبني على اساس مرجعيات وثقافات مختلفة ومتعددة اذ نجد ان الهوية عند فئة الشباب لا يعاد انتاجها بطريقة كلية وشمولية على النحو او النمط الاصيل او التقليدي كما ان عملية تعديلها وفق النمط الجديد او الحديث لا يساوي ولا يحقق القطيعة اذ تعتبر انها بين هذا وذاك انها هوية بينية و وسطية.[1]

فبعد تفسيره لخصوصيلت النظريات الثلاثث الكبرى للحداثة لكل من ماركس في كتابه راس المال ودوركايم في مؤلفه التقسيم الاجتماعي للعمل وكذا اطلاعه على عقلانية ماكس فيبر نجد ان غيدنز سار في طريق اخر غير الذي سار فيه هؤلاء العلماء فهو يذهب ليؤكد تلك الديناميكية

(1) Giddens, Anthony. The Third way: The renewal of Social démocracy. Polity Press london 1998 p72

والحركية للعولمة الشمولية التي تتميز بها المؤسسات العصرية والحديثة. لشرح الانفصالية لكل هذه الظواهر مقارنة بالثقافات والمجتمعات التقليدية. فالتمييز بين مبداي الزمان والمجال يؤكدا تنمية وتطوير ميكانزمات واليات انفتاح الانظمة الاجتماعية ومنها التنظيم الذي يسميه الانعكاسي organisation reflexive للعلاقات الاجتماعية والمعرفة كلها ظواهر اساسية وذات اهمية بالغة في كل تداخلها وترابطها لمسالة التغير والحركية التي تميز العولمة او الحداثة. [1] فالانعكاسية هذه فيقصد بها ذلك العمل الفكري اوتلك السلوكات التي تتم في سياق معين وتتم خلالها المراجعة الدورية واليومية المستمرة والمنتظمة لتلك السلوكات الاجتماعية على ضوء كل ما يطرا من جديد تاتي به العولمة وهذا لا يعني تماما وجود مقاومة للتغيير تفرضها التقاليد كم يضن البعض بل انها حتمية اجتماعية تتحتم التوافق بين المتاصل والوافد لانه مهما يكن فان التقاليد لا يتم انتاجها بنفس الطريقة وعلى نفس المنوال او الوجه عند مختلف الاجيال فهي تحاول ان تتماشى وتساير الوضع من خلال عناصر وقيم جديدة فهي سلوكات تتغير وتتحول بشكل دائم وفق المستجدات والمعطيات الجديدة.

ان الاشكالية التي يطرحها هذا المفكر حول اشكال التنظيم الاجتماعي للحياة الاجتماعية على قاعدة عامي الفضاء او المجال والزمان. تفرض مقاربة لعلاقات معقدة ومتشابكة بين المخافات المحلية اوظروف التواجد ان صح التعبير والتفاعل عن بعد. فالعولمة هي حقيقة عملية معقدة التي تتاسس وتنظم على

---

(1) Lefebvre, henri : Critique de la vie quotidienne. مرجع سابق .

(2) جهان سليم: عولمة الثقافة و استراتيجية التعامل معها في ظل العولمة : المستقبل العربي مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت 2003.

معالمها الشبكات العلائقية على المسوى الكوني فحتى تلك التحولات الطارئة على ما هو محلي تعتبر جزء لهذه العولمة والامثلة على ذلك كثيرة فعندما نقوم مثلا بدراسة المدن اليوم او اي مكان من العالم سوف نصل لا محال الى نتيجة ان كل ما يحصل فيها على المستوى المحلي ليس بمناى عن مؤثرات وعوامل عالمية مثل السوق المصرفية الدولية وارتفاع او انخفاض الاسعار حتى وان كانت بعيدة جغرافيا.[1]

اما في ما يخص الواقع الجزائري والعولمة مثلا.يمكن القول ان الاثار المزدوجة للعولمة ولخصوصيات السياق الثقافي والاجتماعي تشكل حالة فريدة محصلتها اشكال اجتماعية ذات خصوصية يتداخل فيها وبقوة الشمولي والمحلي بطريقة ضمني باطنية معقدة تتميز بالصراع تارة وبالتوافق تارة اخرى.

ا ن اي محاولة لمعرفة العناصر التي تتاسس عليها التصورات والسلوكات الحالية للافرد لن تكون بالمهمة السهلة. خاصة في مجتمعنا الذي مازالت فية مسالة الهوية حاضرة دائما.حتى وان اخذت اشكالا مختلفة تتبع الوضعيات المختلفة والمتنوعة عبر كل مراحل التاريخ ومن بين الاشكال المتنوعة هاته و التي تصعب من فهم مجتمعنا الجزائري نذكر مثلا ما اشار اليه الباحث فاروق بن عطية بخصوص التباين الذي تمتاز به المدينة وعدم تجانس تركيبتها سواء من الناحية الاجتماعية الثقافية او الاقتصادية وكل هذا جراء التروح الريفي .وكما اشار محمد بوخبزة انه من الاثار التي نتجت من التحولات السريعة للمجتمع هي تلك المعادلة التي توضح التباين بين حاجات الافراد والواقع الذي تهيمن عليه المفارقات والمتضادات او الازدواجيات والثنائيات التي يمكن ملاحظتها في كل مظاهر الحياة الاجتماعية .بما فيها الخطاب[2]

(1) جهان سليم المرجع السابق

(2) رشيد حمدوش مجموعة المقالات. مجلة إضافة العددان 17 و 18 قسم علم اجتماع جامعة الجزائر مسألة الرباط و سوسيولوجية الحياة اليومية 2012.

الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية

ان اللغة في نظر الباحثين لا تعد و ان تخرج عن اطار الخطاب ان لم نقل انها الخطاب في حد ذاته ما دامت تمثل وجها من اوجه الممارسة الاجتماعية اي ان اللغة هي جزء من المجتمع وليست خارجه فهي ان صح التعبير بنت المجتمع كما يعني انها كذلك تمثل سيرورة اجتماعية مشروطة اجتماعيا بالجوانب الخرجية الاخرى غير اللغوية من المجتمع ومن الشائع ان نجد ان القررات التي تتناول العلاقة بين اللغة والمجتمع وكانهما كيانان مستقلان ارتبطا هكدا مصادفة والامر على العكس من ذلك اذ ليس هناك علاقة خارجية بين اللغة والمجتمع بل علاقة داخلية جدلية بمعنى ان الظواهر اللغوية هي بالضرورة ظواهر اجتماعية من نوع فريد وخاص . والظواهر الاجتماعية هي =جزئيا= ظواهر لغوية[1]

فالظواهر اللغوية هي ظواهر اجتماعية من حيث انه كلما نطق الناس او انصتوا او كتبوا وقراوا فهم يفعلون ذلك بطرائق تتحدد اجتماعيا ولها اثارها الاجتماعية وحتى عندما يغي الناس فرديتهم ويظنون انهم بعيدين عن المفاعيل الاجتماعية في كنف المؤسسة او الاسرة مثلا فانهم على الرغم من ذلك يستعملون اللغة او الخطاب بصور تخضع لاعرافهم كما ان طرق استعمالهم للغة في تخاطبهم في اكثر لقاءاتهم الحميمية والخصوصية التي لا تتحدد اجتماعيا من خلال علاقات الاسرة الاجتماعية فحسب . بل لها اثرها الاجتماعي من حيث ترسيخ وتطابق هذه العلاقات او العمل على تغييرها فعلا.

---

(1) نورمان فاركلوف، المرجع السابق 63-64

و الظواهر الاجتماعية من ناحية اخرى. هي ظواهر لغوية بمعنى ان النشاط اللغوي الذي يجري في السياق الاجتماعي لا يمثل فقط انعكاس للسيرورات و الممارسات الاجتماعية او تعبيرا عنها بل بالاحرى هو جزء من هذه الممارسات فالخلاف مثلا على معنى التعابير السياسية هو مظهر معتاد ومالوف ودائم في الخطاب السياسي ويختلف الناس احيانا حول معاني ومصطلحات ومفاهيم مثل الديموقراطية والاشتراكية والارهاب . وغالبا ما يستعملون الكلمات بمعاني تتباين او تتعارض الى هذا الحد وذلك مع ما يرمون اليه ومن اليسير ان نسمع ذلك من خلال توصلاتهم الخطابية وتعتبر مثل هذه الخلافات في بعض الاحيان مجرد خطوة تمهيدية لنشاط نقدي لما هو سائد وجار على النظام الاجتماعي من حراك وصراع وذلك والذي يتبعه طرديا ذلك الصراع الذي يظهر في الخطاب وعلى الخطاب [1]

بيد ان الامر ليس مجرد علاقة تناظر بين اللغة والمجتمع بوصفهما وجهين متلازمين لدى كل فرد فالكل هو المجتمع واللغة هي شريان من شرايين التوصل الاجتماعي ومن حيث ان الظاهر اللغوية هي ظواهر اجتماعية فان الظواهر الاجتماعية ليست ظواهر لغوي تماما وان تكن هذه الظواهر(كظاهرة الانتاج الاقتصادي) مثلا فهي تمتلك بوجه عام عنصرا خطابيا اساسيا انقص من شانه ما دام يعتمد على القدرة الانتاجية وعلى اعتبار اللغة او الخطاب ممارسة اجتماعية اي سيرورة اجتماعية ينبغي الاشارة الى التعرض اليه من خلال الرؤية في ما يميز بين الخطاب والنص ومصطلح النص كما راه اللغوي "مايكل هاليدي " للدلالة على النصوص المكتوبة والنصوص المنطوقة هذا الاخير وببساطة هو ما يقال

المرجع نفسه67

في شطر من الخطاب المنطوق والذي يحمل هو بدوره دلالات معينة لدى حامليه والنص هنا هو نتاج وليس سيرورة بمعنى انه ناتج عن سيرورة انتاج النص ذاته. اما مصطلح الخطاب فان استخدامه يكون للشارة الى كامل سيرورة التفاعل الاجتماعي والذي لا يشكل النص فيه سوى عنصرا جزئيا من كلية الخطاب.

وسيرورة التفاعل الاجتماعي هذه تشمل زيادة على النص سيرورة الانتاج التي يكون النص افرازا لها وكذا على سيرورة التاويل التي يكون النص مادتها المرجعية وهنا نستخلص ان تحليل النص هو جزء فقط من تحليل الخطاب الذي ينطوي تحته تحليل السيرورتين الانتاجية والتاويلية معا.

وانه من منظور تحليل الخطاب يمكن ان نقول ان الملامح والمواصفات الشكلية للنص ما هي الا اثارا لسيرورة الانتاج من جهة و شفرات لسيرورة التاويل

ان لكلا هاتين السيرورتين ميزات وخصاءص بارزة تنطوي على التفاعل بين سمات النصوص ودائرة واسعة من الملكات اوما يمكن اعتباره موارد اعضاء المجتمع القائمة في رؤوسهم كمرجعيات يعودون للاعتماد عليها في انتاج نصوص الخطاب او تاويلها ومن بين هذه الموارد

معرفتهم باللغة ةتمثلاتهم للعالم الخارجي سواء كان طبيعيا او اجتماعيا لمجالين يعيشون فيهما

وكذلك قيمهم واعتقاداتهم وافتراضاتهم او بمعنى اعم ثقافاتهم.[1]

---

(1) رضا الأبيض : سلطة النص الشكلية كتابات معاصرة عدد 33 مجلد 9 بيروت 1998.

كما يزيد وصف الخطاب بانه ممارسة اجتماعية اي بوصفه مشروط بالجوانب الاخرى غير اللغوية من المجتمع فان الموارد المختلفة التي تصنعها تنشئة الاجتماعية ما والتي يعتمد عليها الناس في انتاج خطاب ما او تاويله لا تعدوا ان تكون موارد معرفية بمعنى انها قائمة دائما وابدا في اذهانهم

والتي تعتبر مواردا ومصادرا اجتماعية ايضا من حيث انها متكا ذا جذور تاريخية واجتماعية فهي تتمخض اجتماعيا وتتوقف طبيعتها على العلاقات والصراعات الاجتماعية المنتشرة بقدر غير متكافىء بين الافراد والتي قد تخدم افرادا دون اخرين ممن لم يكن لهم سوى خيار التكيف الاجتماعي الى درجة التنازل بما فيها تحويل ضمني لملامح خطاباتهم ليؤكدوا انخراطهم في بؤرة الممارسات الاجتماعية التي تفرض شروطا جماعية تتعدى مستوى الفرد الواحد.

وعلى هذا فان التحديد الاجتماعي لابطال طبيعة المصادر المعرفية ليس هذا فحسب يمس كذلك شروط استعمالها. ومثال على ذلك ان الاستراتيجيات المعرفية التي يتوقعها الواحد منا عادة ما تتغير عند قراءة مقال في جريدة او قراءته معزولا عنه وهنا يخلف الراي

اذ انه من المهم ان تؤخذ هذه التباينات بعين الاعتبار عند تحليل الخطاب من زاوية نقدية

اذن فان الخطاب كما راينا يشتمل على شروط اجتماعية يمكن ان نسميها شروط الانتاج او اعادة الانتاج الاجتماعي[1]. والتي هي بدورها تتصل مع ثلاثة مستويات متباينة في التنظيم الاجتماعي والتي

1) A .Tourain : la Reproduction de la societe. edition Seuil PARIS 1973

الاجتماعي والتي ندرجها فيما يلي:

1- مستوى الموقع الاجتماعياوالمحيط الاجتماعي المباشر محل الخطاب.

2- مستوى المؤسسة الاجتماعيةالتي هي بمثابة منبع الخطاب.

3- مستوى المجتمع برمته.

وان كل هذه الشروط بمستوياتها هي التي تحدد وتسوغ للانتاجات الخطابية

وعلى هذا كله فاننا عندما ننظر للخطاب على انه ممارسة اجتماعية واسعة المجال لا تلزم اي باحث على تحليل النصوص فقط ولا تحليل الانتاج والتاويل بل تحليل تلك العلاقة بين النصوص وسيروراتها وشروطها الاجتماعية او بمعنى اخر تحليل العلاقة بين النصوص والتفاعلات والسياقات من مسلمة ان التحليل الخطابي هو تحليل اجتماعي وبالتوافق مع ابعاد الخطاب فانه يمكن التمييز بين ثلاثة ابعاد او ثلاثة مراحل من التحليل الذي يندرج دائما في اطار النقد

م1/الوصف/ وهي المرحلة التي تعنى بخصائص النص الشكلية.

م2/مرحلة التاويل وتعني العلاقة بين النص والتفاعل حيث تتم رؤية النص بوصفه نتاجا لسيرورة الانتاج فقط ومرجعا لعملية التاويل هاته.

م3/ مرحلة التفسير ويعني بها العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي. حيث يتم التحديد الاجتماعي لسيرورة الانتاج والتاويل معا.

و يمكن ان نشير لما يجري في كل مرحلة من هذه المراحل بوصفه تحليلا نقديا بالدرجة الاولى و لكن ينبغي كذلك التوضيح الى ان طبيعة التحليل تختلف وتتغير من مرحلة الى اخرى. ففي حالة الوصف ينظر الى التحليل بكونه مسالة تتعيين وتمييز لسمات ومواصفات النص الشكلية كما هي عليه ضمن اطار وصفي. اما موضوع الوصف النصي فكثيرا ما ينظر اليه على انه معروف ومتعين سلف غير ان الخطاب المنطوق بصفة خاصة يبين انه خطاب خادع فهو يوهم البعض من حامليه انه هو من ينتج النص من خلال التمثيل الكتابي للنطق والطريقة التي يؤول بها النص لا يمكن الا ان تؤثر في الكيفية التي يتمثل فيها وبها النص كتابيا.

وكذلك الامر في مرحلتي التفسير والتاويل اذ لا يمكن فهم التحليل على اعتباره تطبيق اجرائي عل موضوع خطابي حتى اذا تحفظنا عليه فمن دون ريب ان ما يحلله المرء لا ينحصر ضمن اطار ضيق فهو في حالة التاويل تحليل للسيرورات المعرفية للمشاركين وهو في حالة التفسير تحليل للعلاقات بين الاحداث الاجتماعية العابرة والتفاعلات والبنى الاكثر ثباتا التي تشكل هذه الاحداث وتتشكل بها وفي حالتين يكون المحلل للخطاب في موقع المقدم للاحاث بالمعنى الواسع للكلمة لتاويلات لعلاقات معقدة لا يمكن رؤيتها والوصف في نهاية المطاف يرتكز على تاويل المحلل بقدر ارتكاز تمثيل النطق كتابيا على تاويل النص بمعناه الوسع ولما يراه المرء في النص على انه جدير بالوصف او التفسير او التاويل للبحث في الاخير على اهداف الخطاب.[1]

(1)نورمان فاركلوف تحليل الخطاب المرجع السابق

ومع هذا كله الا ان هناك بعض الميول الوضعي لوضع نصوص اللغة او الخطاب على انها موضوعات يمكن وصف خصائصها بالشكل الذي جاءت عليه من غير تاويل وبطريقة ميكانيكية رغم ان التاويل وارد مهما كان اذ لا يستطيع ايا منهم ان لا يندمج في الانتاج الانساني والفكري الذي لا يعرف الحدود اذ بمقدوره الوصف والتفسير والتحليل والنقد والاستقراء والاستنباط وكذا التاويل في حالة الخطاب.وهذا كله يمكن استخراجه في خطاب المقاهي على اعتباره خطاب لهاصول اجتماعية نابعة من الرؤية الى الوقع المعاش في لحظات من التامل اذ ان الصورة الملفتة للانتباه ان هؤلاء المتخاطبين داخل حيز المقهى موجودون في حالة من الثبات النسبي فالصورة الطاغية هي انهم في حالة ارتياح بدني فهم جالسون على كراسي المقهى وناشطون فكريا باحتساء القهوى وهي الصورة نفسها التي غالبا ما يحبذها الكتاب والمفكرين والملاحظين لما يدور حولهم فان الراحة البدنية توفر مجالا اوسع للتفكير والتعبير زد على ذلك فان المقهى تشكل مكانا رمزيا في تشكيل عون اخر من التنشئة الاجتماعية التي لا تعدو ان تكون صرحا للانتماء الى هوية اجتماعية يلعب المكان فيها دور في بلورتها و تحقيق الذات فيها بكل ما يحمله الخطاب الدائر من معطيات اجتماعية سببية ياتي بها الفرد المتخاطب مع نظرائه داخل المقهى التي سرعان ما تضحى مصبا لكل القنوات الخطابية التي لا تعرف التوقف لا يحكمها اي قانون داخلي.

الدراسة الميدانية

تمهيد للدراسة ميدانية

لقد كان نزولنا الى الميدان مغامرة حقيقية بنسبة لنا اذ كان يتوجب علينا فيها شد الاهتمام من اجل توجيه البحث وفق الاطار الذي سطرناه من اجل تحقيق الاهداف المرجوة التي ارتضيناها واسسنا لها نظريا والتي تتمثل في محاولة تخريج المعاني وشتى الدلالات السوسيولوجية من مادة الخطاب اليومي وما يحتويه من قضايا مثارة واحاديث ونقاشات الناس في لقاءاتهم اضافة الى البحث عن الصور والنماذج التي يتمظهر ويتشكل فيها الخطاب داخل فضاء المقهى ان كل هذا يقود في البداية الى تحديد صناعه والتصدي الى عناصر الموقف الاتصالي وتركيبته من حيث المشاركين فيه

ان التركيز والعمل على استنباط المعاني والدلالات السوسيولوجيية يسمح بالتكريس لرسم المعالم الاجتماعية في عملية التواصل الخطابي وكذا الانطلاق في التحليل الذي يبدا من المشهد الاجتماعي بصفة وصفية وتفصيلية جزئية في الاول ثم التوجه الى نسق استدلالي يسوق الموضوع المستهدف في اطار مرجعي اكثر اتساعا وتجريدا ثم العودة بعد كل ذلك الى ما يتم رصده في المجال الملاحظ لجميع صور ومضمون اللقاء الانساني في محيط اجتماعي يمثله المقهى كفضاء غير اداري ولا رسمي دون مراعات عدد الفاعلين او المشاركين في العملية الخطابية بطريقة اقرب ما تكون الى الاثنوميتودولوجية

التي تعني دراسة المناهج الشعبية او الطريقة التي يستخدمها الناس في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية

لقد وظفت الدراسة الملاحظة وصحيفة تسجيل المواقف ورصد كل ما يتداول من حوارت واحاديث على اعتبار ان محتوياتها ومضامينها انما تعبر عن الدلالات والابعاد الاجتماعية المنبثقة من المبررات والمقومات والغايات المجتمعيةوعليه فان الكشف عن ارتباطاتها بسياقاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتربوية باعتبارها مجالات للحياة اليومية هو الذي من شانه ان يؤسس لما يسمى بسوسيولوجية الاتصال.

*السياقات السوسيوثقافية لمواضيع الخطاب وقضاياه:

تمثل المواضيع المختارة في حلقات الخطاب داخل المقهى مضامين مجتمعية وثقافية حاسمة في التعبير عن الوقائع والحقائق الاجتماعية التي تبدو ذات وقع كبير وأهمية في منظور المتخاطبين في هذا الحيز المكاني الحر والذي يسمح بالخوض بكل ما يخطر على بال من اهتمامات وقضايا وعملا بهذا فان الدراسة تمكنت من رصد القضايا التالية والتي يمثلها الجدول الأتي

جدول رصد مختلف المواضيع و القضايا المثارة في فضاء المقهى:

الموضوع	عدد مرات تداول الموضوع	النسبة المئوية
الرياضة	31	17.33%
السياسة	09	12%
الدين	90	12%
قضايا العمل والبيع والشراء	07	9.33%
قضايا المعاملات الإدارية	07	9.33%
الغرام والجنس	06	8%
القضايا السردية والساخرة	05	6.66%
قضايا المعيشة وارتفاع الأسعار	04	5.33%
الاقتصاد الجزائري	04	5.33%
قضايا الاحوال المعاملات والكلام عن الاخرين	03	4%
العادات والتقاليد.	03	4%
قضايا الاسرة.	02	2.66%
قضايا التعليم	02	2.66%
قضايا الاعلام	02	2.66%
قضايا الحوادث المجتمعية	02	2.66%
قضايا الصحة والعلاج	02	2.66%
قضايا النقل والمواصلات	02	2.66%
قضايا الهجرة	02	2.66%
قضايا الطقس والاحوال الجوية	01	1.33%
المجموع	75	%100

ان القراءة الأولية للجدول تبرز في البداية جملة القضايا والمواضيع المتداولة داخل فضاء المقهى في إطار اتصالي جماعي فهي قضايا مرتبطة بحال المجتمع وظروفه والمعبر عنها في الاتصال التلقائي والعفوي بين الناس لقد كان هذا الاتصال المكرس في سياقه التخاطبي يبرز في غالبيته وجه الحياة الاجتماعية المحلي إذ لم يكن لمسائل وقضايا العالم الخارجي إلا نصيب قليل يأتي على سبيل المقارنة او سرد لأحداث إعلامية لا غير.

وكما هو ملاحظ على الجدول فلقد استطاعت الدراسة جرد عدد هائل من القضايا والمواضيع المثارة داخل منبر المقهى ولعل هذا التنوع هو من تنوع الحياة اليومية نفسها بوصفها ظاهرة ينبغي التعامل معها في تفسيرها والكشف عن أبعادها عبر متغيرات متعددة وكثيرة شهدها وما زال يشهدها المجتمع الجزائري ولان طبيعة المرحلة الراهنة تفرز تحديات على أصعدة مختلفة تصب في مجملها في البحث عن الذات الاجتماعية داخل هذا العالم المتغير والسريع ولقد جاءت حسب الترتيب التالي:

- **الرياضة**

و بالخصوص اللعبة الأكثر شعبية وهي كرة القدم قائمة القضايا التي تم إحصاؤها وهذا بنسبة.17.33 بالمائة حيث كان هذا الموضوع متداولا بكثير من الحماس في التعليق على مختلف الدوريات العالمية للعبة حيث بدى على المتخاطبين ثقافة كروية وتتبع ملحوظ لمسيرة الفرق واللاعبين بدرجة من الإعجاب الكبير كما أن الشيء الملاحظ هو ان اللجوء الى هذا النوع من المواضيع يبرز كثيرا من الابعاد النفسية التي يريد الخطاب فيها الابتعاد عن غياهب اللعبة السياسة المؤرقة وهذا عندما استطاعت احدى حالات الدراسة في المقهى الى تغيير مسار خطاب في جلسة

بالمقهى حينما كانت تخوض في موضوع الانتخابات بقوله – " اخطيونا من السياسة وقولو لي من سيستقبل فريق برشلونة في الجولة المقبلة من الدوري الاسباني-" في هذا الموقف نرى ذلك الشغف و الاهتمام الكبيرين بكرة القد م الذي يفتح للخطاب مجالا واسعا للهروب نحو عالم اخر تميزه التنافسية الرياضية التي تبعث الى المتعة و التشويق في متابعة نتائج المباريات وان هذا التتبع عن قرب هو الذي ينتج ثقافة كروية تطبعها الاستمرارية في التاثير على انتاج اشكال من الخطاب بين مناصري هذا الفريق وذاك داخل فضاء المقهى مركز اللقاء في جو يجد فيه هؤلاء راحتهم ناسين هموم الحياة اليومية ومشاكلها.اذ تصبح ملاذا حقيقيا للتعبير والحضور القوي بما يصنعه هؤلاء من مقارنات لما هو سائد في الملاعب الاوربية وما هو موجود عندنا وما تحمله ملاعبنا من احداث وان هاته الاراء تحمل الكثير من الانطباعات والحوامل الاخرى الخطيرة من العنف في الملاعب والشغب والتمرد عن الأعراف وخرق النظام العمومي.

لذا فان ميول الخطاب الى هذا النوع من الرياضة لم يأتي بالصدفة اذ ان هناك معطيات أخرى لها تأثيرها الواضح في توجيه ملامح لخطاب الا وهي تلك المسحة الإعلامية التي تخص بها كرة القدم والتي تعطيها ذلك الطابع الاحتفالي الذي يتبناه السواد الأعظم من الناس بمختلف الشرائح والذي يتكرر الحديث عنه في كل المناسبات وفي شتى الامكنة بما فيها المقاهي وفي الوقت الذي صارت فيه لعبة كرة القدم ظاهرة اجتماعية عالمية جعلت من الشباب المولع ينام ويستيقظ عليها كيف لا وهي التي استطاعت ان تتعدى ذلك البساط الاخضر متجاوزة كل الحدود كلعبة مثيرة الى حد الهوس والجنون في جميع قارات الارض. و الواضح كذلك ان بعدها الاجتماعي كما يراه "انطوني جرامشي" انها تلك الحرية التي يمارسها الانسان

في الهواء الطلق والتي تبعث إلى الانفعال المكشوف بعفويته منفسا لما في السريرة من دون ان يقوى على الشحن النفسي او يمنع الاستغلال او يوجهه اليه موجه ولعل هاته السحرية الموجودة في اللعبة هي من تحرك المشاعر والخطابات التي لا تعرف الحدود ولا الفوارق الاجتماعية على اعتبارها تشكل ثقافة من نوع اخر ثقافة للتقارب الملموس الجامع الذي تنصهر فيه كل ثقافات كرة الارضية [1] من حيث الشكل والمضمون اذ يكفي ان قانونها واحد الكلمة الأولى والاخيرة فيه لصافرة الحكم ان أصاب يكافأ وان اخطأ يعاقب على عكس باقي ثقافات الدنيا التي لا طالما باتت تبحث عن هذا النوع من الحكام الذي يسوي بين الناس.

ولعل النشوة المفرطة لهذا الأفيون الفريد الموجود في كرة القدم هي وحدها التي يمكنها ان تملا ذلك الفراغ الذي يظهر في حياة العديد من المجتمعات كعلامة من علامات الرتابة والضجر واليأس وهي بالتالي تحكم تلك العلاقة بين المكونات النفسية للجماعة والنسق العام للحضارة التي تتسم بفقدان اليقين والغايات وإنسانية الإنسان اذ أن وظيفتها في هذا السياق هي ملء الفراغ باللا معنى وامتصاص السأم الناشئ أيضا من الفراغ ذاته الذي يجد في المقهى مكانا لإعادة إنتاجه في صيغة خطابية كونها تخوض في مادة جذابة ومرغوبة لثقافة أخرى عالمية الصنع والتي تدعمها منظومة إعلامية هائلة لما لها من مفعول في حياة المجتمعات.

---

1. انطونيو غرامشي: قضايا المادية التاريخية سلسلة السياسة و المجتمع، ترجمة فواز طرابلسي، دار الطليعة للطباعة و النشر، سنة 1971

- **قضايا السياسة:**

و لما تزامنت دراستنا مع الانتخابات الرئاسية التي سرعان ما كانت موضوعا جليا في الخطاب

و الحوارات اليومية في المقهى التي تخوض في قضايا السياسة محتلة المرتبة الثانية ب 12 بالمائة اذ كانت دلالاته الاجتماعية صريحة تشكلت في شتى الرؤى وردود الأفعال حول الجو السياسي السائد وكذا مختلف التطلعات حول موضوع المشاركة السياسية على وجه اخص اذ بدى على المتخاطبين الكثير من التشاؤم والإحباط والخوف من المستقبل في جو ساده عدم الرضا خاصة عند الفئة الشبابية وعلى هذا الأساس تم رصد الانطباعات التي جاءت في فحوى خطابهم في المقهى والتي يمكن إدراجها في ما يلي:

- عدم الرضا عن الأوضاع القائمة في المجتمع بشكل عام
- الشعور بالعجز وعدم القدرة على التغيير
- القناعة بفقدان الشباب لوزنهم في العمل السياسي حيث صاروا حجة في خطابه فقط.
- اليأس من المشاركة السياسية
- عدم الثقة في نتائج الانتخابات والنظام السياسي المبني على الأطماع
- قناعة الشباب بان الانتخابات سوف لن تغير في المجتمع شيء
- اللامبالاة وعدم الاهتمام بالأمور السياسية-

- استنتاج الشباب لعدم رغبة الجيل الأكبر في المجتمع في إقحامهم في العملية السياسية

- ضعف الإلمام الشباب بالأحداث السياسية وعدم المقدرة على استيعاب تفاصيلها

- انصراف الشباب عن الانشغال بالعمل السياسي نحو الاهتمام بمستقبلهم العملي وهموم الحياة وكسب القوت اليومي

- إجماع الشباب حول مقولة الانتخابات حق وواجب على انها ليست لها علاقة في الواقع وانها مجرد كلام مغرض وظهر هذا على حد قول احدى الحالات "- كيفاش انا ما اعندي حتى حق ويقولون لي قم بواجبك؟ **!"**

و ما يمكن ان نلمسه في كل هاته الانطباعات انه فعلا هناك خلل و أزمة حقيقية تفرض نفسها و هي أزمة متشعبة ومتعددة الأوجه تظهر بجلاء في أحاديث ابسط الناس.

و لعل الرواسب الثقافية مازالت لم تلتق مع الطرحات والممارسات في الحياة السياسية الوطنية كما أنها لم تلق ذلك الرضا والقبول اذ بدت انها مجرد خدع و أكاذيب و أطماع

اذ كان الخطاب حولها وفي غالبية المواقف يشكل نقدا صريحا لسياسة الدولة الاقتصادية على وجه الخصوص وما هو منجر عنها من بطالة وفساد ورشوة ومحسوبية وضعف في الخدمات وسائر المعيقات التي تعترض طريق الشباب وتشكل حالات من الاختناق و العجز.كما طرحت جملة من القضايا والآراء حول المعاملات الإدارية بنسبة التي يفقد فيها الشخص كرامته. والانتخابات التي كانت حولها

المناقشات الحادة والغضبية والمتوترة حول العهدة الرابعة والاستياء من صناعها والاستهزاء والسخرية من تصريحاتهم وأخطائهم اللغوية المتكررة

- **قضايا الدين و الاخلاق**

كما خاض الخطاب في قضايا أخرى من الحياة الاجتماعية إلى جانب السياسة و تساويا معها من حيث الطرح الاتصالي المرصودة كان الحديث عن مسائل الدين والأخلاق وقد تنوعت مفردات هذا البعد بين التربية السيئة ومختلف الانحرافات السلوكية في أوساط المراهقين المتمثلة في تضييع الوقت وتعاطي المخدرات والمسكرات والسرقة والإشارة إلى الصلاة والموت وجاءت مؤكدة على انتشار الفساد والانحلال الأخلاقي وفي مسالة الموت فقد كانت بمثابة الواعظ الذي يعود إليه المتخاطبون في كل لحظة كمرجع عقائدي والذي يجب الاستعداد إليه والإعداد له.ولما تصادفت دراستنا بشهر رمضان كان الحديث كذلك عن أجواء هذا الشهر وكيفية التعامل معه إذ جاء الحديث ليمثل طرحا لبعض السلوكيات التي تخل بقدسية هذا الشهر الذي هو للعبادة والنشاط وليس للنوم وتزيين الموائد بالتفنن في المأكولات.

- **قضايا الشغل و العمل:**

كما عرج المتخاطبون بعد قضايا الرياضة والسياسة والدين الى مواضيع العمل و التي تجسدت في غالبيتها على مسالة البيع والشراء الى حد كبير الشيء الذي يؤكد من جهة ان هؤلاء ما زالوا يبحثون عن انفسهم في ظل البطالة المتفشية و من جهة اخرى تفضيلهم لاعمال الحرة او ما

يسمونه "les affaires" على حساب العمل الحكومي مقبل الاجر الذي يعلمون انه غير كافي امام معطيات السوق وتزايد الحاجيات وكان هذا باعتراف الامل منهم قبل البطال اذ جاء على راي احدى الحالات وهو يخاطب جليسه البطال بالمقهى قائلا " الشهرية مراهيش تكفي كاش affaire نعاونك و نخدموها" ولهذه المقولة الكثير من الدلالات السوسيولوجية في بعدها المادي الذي اصبح فيه الافراد يسعون إلى تحسين الظروف المادية بأعمال موازية بانتاج شراكات اخرى مع نظرائهم في المجتمع ورسم جملة من المشاريع والاقتراحات والبرامج التي يمكن العمل بها من اجل جلب الاموال ومنها كراء المساكن للوافدين على المدينة باعتبارها منطقة سياحية متميزة بحماماتها المعدنية والتي تعرف اقبالا منقطع النظير خاصة في فصل الصيف خاصة من العائلات الوافدة من مختلف انحاء الوطن من اجل قضاء عطلها حيث يقام لهذا برنامج خاص يبدا الشاب البطال فيه بجرد للمساكن المراد كراؤها والتفاهم مع اصحابها في حين يقوم الاخربحكم علاقاته العامة ومعارفه بالاشهار لها على انها جاهزة لشهر او ليوم او لاسبوع حيث يحتسب مبلغ الاقامة بالليلة الواحدة ان هذا نموذج حي في السمسرة لدليل واضح على السعي الى انتهاز كل الفرص المواتية لتحسين الاوضاع المادية والتي لاتستدعي العمل الشاق.

لعل المعطيات الموجودة في الجدول تشير كما سبق الى تنوع المادة الاتصالية هذا التنوع الذي يجد تفسيره في عوامل متعددة بعضها يرتبط بالمجتمع وثقافته وظروفه وتاريخه وبعضها الأخر يرتبط بالعالم الخارجي وأطراف العملية الاتصالية، كما يسوق ذات الجدول ترتيبا لحجم التناول لموضوعات وقضايا المادة الاتصالية الذي جاء مرجحا لبعضها على حساب بعضها الاخر, وهو ما يعكس ظاهرة أخرى هي الانشغال الاجتماعي بتلكالقضايا . وهو انشغال يزيد او ينقص بحسب أهميته وطبيعة المرحلة التي يمر

بها المجتمع نفسه ومن ثمة فان العفوية التي اتسمت بها المواقف الاتصالية تؤكد على ان لذلك الارتسام الذي ساقته الاحاديث الخطابية وعلى النحو الموضح في الجدول اذ لم تترك جانبا من جوانب الحياة اليومية الا و أفصحت عنه.

- **المعاملات الإدارية:**

لقد كان للمعاملات مع الإدارة نصيب في الحوارات اليومية خاصة من قبل اولئك الشباب الذين كانت لهم الرغبة في دخول عالم الشغل في إطار البرنامج الاقتصادي الذي مسعاه دعم تشغيل الشباب في الإدماج وخلق المشاريع والمتمثلة في هياكل/ENSEJ/CNAC/ENJEM و التي تحتم على هؤلاء الدخول في تعاملات أدرية كان الحديث حولها مشحون ومطبوع بعدم الرضا لما تخلقه من تماطل وعراقيل بخصوص الوثائق ومختلف الإجراءات التي بدت ترهق هذا الشباب المقبل على مثل هاته المشاريع ووفي نقس السياق الذي يدخل في اطار المعاملات الإدارية لفت انتباهنا الى ما جاء على لسان احد الشباب الذي كان بالمقهى حين اراد استخراج بعض الوثائق له من البلدية حيث قال انه بعد طابور كبير لم يتمكن من نيل مراده بحجة عدم تواجد من يمضي له هاته الأوراق الشيء الذي ادى به إلى القلق الى حد الشجار مع المكلف بالشباك لما راه من معاملة وتدني في مستوى الخدمة على مستوى البلدية الشيء الذي انعكس على خطاب هذا الشاب بكثير من التذمر والسخط هذا الموقف انما له دلالته في الواقع المعاش على مستوى اوسع وعلى شتى القطاعات الخدماتية في المجتمع وفي موقف طريف حاول زميله في الطاولة الى تحويل موضوع الخطاب تماما سائلا اياه عن صديقته وبالتالي اجباره الى الخوض في موضوع اخر في عالم الجنس والغرام كموقف قد يجد فيه الراحة النفسية بالتعرج الى العواطف والاحاسيس ممتصا

بذلك الغضب الذي بدى على هذا الزميل ومخرجا اياه من خطاب غضبي ساخن الى اخر اكثر هدوءا وعلى هذا المستوي من التراوح الخطابي ينكشف ذلك البعد النفسي الذي يبدو مرجعا هاما في خطاب الشباب في فضاء المقهى الى حد قول احدهم – ان كل هذا الغبن من اجل الزواج وتكوين اسرة – وان عدم خلو هذه المواقف من الحديث عن الحب والجنس وتنوع العبارات في هذا الشان قد يبين اثارة الطبيعة الانسانية ووجوب التمكين للثقافة الجنسية والغرام والوعود الكاذبة على البنات وفي الاخير العودة الى فوائد الزواج .الذي هو سبيل الاستقامة والاستمرارية في الحياة.كما كان الخطاب مشبعا بالفواصل الخطابية الساخرة التي كانت تطبع طاولات الحوار في المقهى فكانت النكتة والاستهزاء حاضرين.

- **قضـــايـــا الأســـرة:**

كما لم تكن قضايا الاسرة بالنسبة للمتزوجين غائبة في تحريك الخطاب وان ابرز ما اشارت اليه اطراف الاتصال في هذا الشان هو مسالة الخلاف بين الازواج وثقل حمل تربية الأولاد والعقم. فالخلافات الزوجية تعتبر عاملا من عوامل الهدم فيما تبقى تربية الأولاد عملية شاقة وصعبة بالموازات لما لما هو سائد اذ انهم كلما كبروا كبرت معهم متاعب الاولياء بازيادة حاجاتهم الشييء الذي يستلزم من الاولياء الحظور الدائم والقوي من اجل متابعة تربوية جادة من الاب لان الام اصبحت غير قادرة لوحدها تحمل المسؤولية اذ صار من الخطا حينما يرمي بعض الازواج بهذه المهمة على الزوجات وقد اتفق الجميع في ارائهم الخطابية على صعوبة التعامل مع الاطفال وتلبية كل حاجياتهم بعدما صاروا مشاكسين وعنيفين ويعرفون كل شيء على حد تعبير احدهم اذا ما تم مقارنتهم بنظرائهم

واقرانهم من الاجيال السابقة وفي هذا الراي ما له دلالة تلمح الى معلم اخر هو اختلاف في الحياة الوظيفية الاسرية بين الاجيال الى حد الصراع وهذه القضية تحتاج الى دراسات مستقلة.

- **غـــلاء المعيشة و ارتفاع الاسعار:**

و جاءت موضوعات ارتفاع الاسعار وغلاء المعيشة للتعبير عن الواقع الاقتصادي الذي تعرض له خطاب الحياة اليومية والذي كان يتسم بالتذمر من الغلاء الفاحش لمستلزمات العيش الكريم وهي ظاهرة تجد تفسيرها في الوضع الاجتماعي الذي خلفته حركات الاصلاح الاقتصادي في الجزائر والتعديل الذي مس المؤسسات الاقتصادية انطلاقا من سنة 1988 وما تبعها من قرارات تشريعية افرزت جملة من النصوص القانونية اهمها:

- القانون رقم 088-02 المؤرخ في 12 يناير1988 والمتعلق بالتخطيط

- قانون رقم**088**-03 المؤرخ في 12 يناير 1988و المتعلق بصناديق المساهمة

- القانون رقم 088-04 المؤرخ في نفس التاريخ المعدل والمكمل للامررقم75-59 المؤرخ في 26 سبتمبر1975 والمتعلق بقانون التجارة والمحدد للقواعد الخاصة المطبقة على المؤسسات العمومية الاقتصادية

- القانون رقم088-05 المؤرخ في 1988/01/12 المعدل والمكمل للقانون رقم86-12 المؤرخ في 15 اوت 1986 المتعلق بقانون المالية والذي جعل من المؤسسة المالية مؤسسة عمومية اقتصادية تخضع للقانون المدين وقانون التجارة

– القانون رقم88-25 المؤرخ في 12 جويلية 1988 المتعلق بتوجيه الاستثمارات الوطنية الخاصة والذي يتم بموجبه توجيه المستثمرين نحو المستثمرات ذات الفائدة بالنسبة للوطن

– القانون رقم 88-29 المؤرخ في 19 جويلية 1988 والمتعلق بممارسة الدولة التجارة الخارجية

– القانون رقم78-19 المؤرخ في 08 سبتمبر 1987 المحدد لكيفية استغلال الأراضي الزراعية التابعة للممتلكات الوطنية والضابطة لحقوق و واجبات المنتجين.

واذا كانت حركة الاصلاح هاته التي تمثلت في تلازم بين التشريع والنشاط الاقتصادي كضرورة من اجل خلق الاثار المادية المرغوبةفي توجيه الاقتصاد الجزائري فان المرحلة الانتقالية شكلت

منعرجا حاسما على اعتبارها لم تكن قرارا سياسيا سهلا بالنظر لما يمكن ان يترتب من آثار اجتماعية.

وقد تميز الوضع بعد الاصلاح الاقتصادي الذي بدى محتما بالتاثير المباشر على المداخيل والقدرة الشرائية والشغل والاستهلاك وتجسدت تلك الاثار في تقليص ميزانية الدولة كالغاء الدعم وتجميد الاجور وكافراز واضح فان ميزانية الدولة انتقلت من 503.9 مليار دينار في سنة 1993 الى 450.4 مليار دينار جزائري في سنة1997 كما اثر خفض النفقات العمومية على قطاع الحساسة كالتربية والصحة. زد على ذلك ارتفاع الاسعار من خلال رفع دعم الدولة لاسعار المواد الاساسية والبطالة وتجميد الرواتب وغياب النمو الاقتصادي كلها عوامل ادت الى عجز المواطن البسيط وانخفاض مستواه المعيشي وحسب دراسة قام بها البنك العالمي في سنة 1997 فان هذا الانخفاض الحقيقي في القدرة الشرائية قد بلغ خلال

الفترة الممتدة بين 1986-1994 الى حد 45"" وان حركة الإصلاح هاته لم تفي بالغرض اذ تبعتها اصلاحات اخرى ولا زالت الى يومنا هذا والتي لازالت غير قادرة على اجاد الحل المناسب في اطار نظام الريع الذي تشهده البلاد بالاعتماد على عائدات البترو ل والغاز بعد انحلال غالبية المؤسسات وسقوط سقف الانتاج....[1] ومن الواضح ان هذا التغيير الاقتصادي كانت له الكثير من الاثار الاجتماعية التي انعكست على الخطاب اليومي بكثير من النقد والتذمر على الوضع بشكل عام الى درجة الخروج الى الشارع وتزايد الحركات الاحتجاجية المنددة والمطالبة بتحسين الوضع المعيشي . القطاعات الاقتصادية والتي كانت في مجملها تصب في اطار المطالب المادية والارتقاء في تسوية الظروف الاجتماعية والتنديد بالتوزيع الغير عادل للثروة .بالاضافة الى التطلع الى حل بعض المشاكل العالقة الاخرى كمشكل السكن والبطالة اذ يبقى مثلا ذوو الدخل المحدود او عديمي الدخل غير قادرين على توفير المسكن على اعتبار ان هذا الخير سرعان ما تحول الى سلعةتتاح فقط لمن له ثمنهاوهذا لزمن طويل وهذا بسبب سوء التخطيط

والاسراف المالي وايجاد البدائل الاساسية التي تضمن العيش الكريم وهذا بالعمل على خلق خريطة اجتماعية كفيلة بمحاربة الامراض الاجتماعية السائدة كالرشوة و الوساطة والسعي على التدعيم الانتاج والمحلي وجلب المشاريع الاستثمارية التي تكزن قادرة على توفير فرص العمل التي تسمح بتحسين ولو نسبي للمستوى المعيشي الذي لن يكون الا بسعي الدول الى دعم اسعار المواد الاساسية الواسعة الاستهلاك في اطار تنظيمي يمكنه احتواء بعض المشاكل المعيشية للحيولولة دون تفاقمها لتصل الى الدرجة التي يصب التعامل معها ما يحدث اليوم اين صارت النظم تمسي وتصبح عل الاحتجاجات.

(1) د. جابر نصر الدين و ابراهيم الطاهر، الملتقى الدولي حول سوسيولوجية اتصال الشعبي و العلاقات الانسانية 20 و21 و22 مارس 2005، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

-قضايا الاعلام:

ولقد كان لقضايا الاعلام وما تبثه وتنشره وسائل الإعلام حيزا في الخطاب اليومي في المقهى فلقد اثارت قضايا اختطاف الأطفال من داخل المستشفيات جدلا كبيرا خاصة تلك الحادثة التي اسالت الكثير من الحبر وملأت صورها الكثير من شاشات القنوات التلفزيونية

و التي تمثلت في اختطاف المولود –ليث- من المستشفى وكذا العثور على جثة مريض داخل دورة المياه باحد المستشفيات دون ان ياهما لها احد من العاملين هذا الامر الذي طرح العديد من التساؤلات عند المتخاطبين حول الوضع الذي الت اليه مصحاتنا ومستشفياتنا وان لهذا دلالات

واضحة على ذلك التسيب واللامبالات زد على ذلك فقد طرح المتخاطبون بكثير من الاسف قضية تدني مستوى الخدمة والقصور والعجز الذي تعرفه هذه الاخيرة حيث صار الخوف ليس من المرض بل من المعالج الشيء الذي جعلهم يفضلون المصحات الخاصة حيث طرح احدهم حادثة توليد زوجته وما لاقته من معانات وسوء معاملة لا يمكن وصفها من طرف القابلة التي تكفلت بتوليدها حيث صرح قائلا –ان تلد المراة في بيتها وبالوسائل التقليدية مثل أمهاتنا خير لها من المستشفى- ولعل ما جعله يقول هذا الكلام هو انه حتى وان توفرت الامكانات والوسائل الحديثة الا انها لم تجد اصحابها من الكفاءات المهنية البشرية التي بامكانها ا ن تستغلها الاستغلال الحسن فكم من اجهزة متطورة بمستشفياتنا غطاها الغبار و لم تستخدم بعد.

- **قضايا التربية و التعليم:**

و لقد كان لمواضيع التربية والتعليم نصيبا في الخطاب اليومي بالمقهى والذي مثله فيها فئة المشتغلين بالميدان والذي كان فحواه في الغالب مطلبيا يراد من ورائه تحسين وتهيئة المؤسسة التعليمية والتكوينية وفق المعطيات الجديدة ورغم ان ان مثل هكذا مضمون اتصالي مشروع لكنه قياسا بالجانب البيداغوجي والأكاديمي فانه يعتبر ثانويا اذ ما اتفقنا على ان هذا يوحي بنقص الدافعية سواء في التحصيل او التكوين هذا طال الخطاب بالنسبة لهؤلاء اربع عناصر اساسية في العملية التربوية وهي

1- دار العلم او المدرسة التي لا تزال منقوصة لا من حيث الوسائل ولا من حيث ركائز التاطير

2- المعلم هو الأخر الذي لا يزال يعيش مشاكلا اجتماعية ضمن منظومة أشبه ما تكون بالمشتلة المعرضة للتجارب التي لم تجد الحلول اللازمة

3- المتعلم او التلميذ الذي صار غير قادر على الاستيعا ب في ظل كثافة البرامج التي أعجزته وجعلت مستواه في تدني

4- المادة العلمية التي لا تزال بعيدة عن متطلبات العصر ومقتضيات المجتمع

زد على ذلك إبراز ذلك التصور الحتمي لما تريده الاسرة من أبنائها والتي لطالما كان مبتغاها نجاحهم و الحصول على منصب وتقاضي اجر شهري لا غير وهذا التصور له دلالته المادية الواضحة والتي لا يكون

فيها ادبي حافز اخر للأبناء من اجل الإبداع والابتكار الذي صار خارجا عن تقاليد مجتمع ضيق فيه الخناق وقتلت فيه المواهب

وقد كانت مختلف الآراء الموجودة في الخطاب تصب في مسعى واحد هوتفعيل العملية التربوية والتكوينية ولعل مختلف النقائص التي بدت في خطاب المشاركين في بعض المواقف هي مسؤولية مشتركة بين كل أطراف وعناصر العملية التربوية التي سلف ذكرها

اذ يظل البحث في العلاقة بين المؤسسات التعليمية والتكوينيةة من جهة وفي الخطاب اليومي للاتصال من جهة اخرى مجالا للطرح والجدل والاتفاق والاختلاف بين كثيرمن الاراء ووجهات النظر. غير ان تلك المؤسسات والخطاب الدائر حولها يرتبطان في حقيقة الامر بالمجتمع برمته لان كليهما يجسد ابعادا اجتماعية يمكن فهمها ضمن البنية التي يقوم عليها الواقع التعليمي في ظل الترتيب المؤسساتي والتراتب المجتمعي اذ ان الواقع التعليمي المتغير في المجتمع الجزائري ما هو سوى امتداد لاحداث مر بها التعليم والتي ظهرت منذ ما قبل الاحتلال الى مرحلة الاستقلال والتي لم يكن فيها سوى خياران اما الفصل او الوصل لما كرسه الاستعمار في هذا المجال ناهيك عن العديد من العوامل المتداخلة تاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية كان لها سلطانها على هذا الواقع الذي يزال يثار حوله الكثير من الجدل الخطابي

- **حوادث مجتمعية:**

أما الحوادث المجتمعية فلقد نالت حظها هي الاخرى في سيرورة الخطاب المقاهي بما فيها تلك الحوادث المؤدية الى الموت المرورية منها والاجرامية وتلك المتعلقة بالاداب والاخلاق العامة وهي

جميعا انشغالات وقضاي تؤثر في الراي العام وتصنع حيزا للتواصل والحوار حول حيثياتها ما دامت مرتبطة بشكل مستمر ومباشر بحياة الجماعة وان ولو ان هذا النوع من الاتصال لم ينل الكثير من الاهتمام و لم ياتي الى بمثابة الخبر العادي.

الذي ياتي به شخص على طاولة المقهى وهذا للعلام فقط من اجل التعزية والتهنئة وهذا بحسب المناسبة اذ صارت هذه الاحداث روتينا مالوفا يتكرر في كل يوم وفي كل لحظة

اذ تبقى المضامين الاجتماعية الشعبية للاتصال حولها مجرد سياقات خطابية لثوابت لا تتطلب الجدل

والحماسة او الغضبية التي تطبع غيرها من بعض المواضيع المثارة والهامة في التصور والتقدير الشعبي ومثل تلك القضايا ما يتم نشره من جرائم متنوعة في وسائل الاعلام اذ لم تعد تهز هاته الاخبار احدا وكانها قد دخلت في التابة اليومية في الاوساط الشعبية ولدى ابسط الناس وقد يكون للمرحلة الحرجة والخطيرة والعشرية السوداء وما صاحبها من شيوع ظاهرة الارهاب في مجتمعنا الاثر الواضح في تسكين وتحفظ الضمير الجماعي واكسابه اقتدار المرونة في الفهم والتحرك. غير ان اثارة هاته المواضيع داخل قضايا التواصل يؤشر الى انها ما زالت تلقى الاهتمام وتاخذ قسطا من انشغالات المتخاطبين.

- **الطقس و المناخ:**

و يظهر من حين لاخر ان حرارة الجو التي طبعت فضاء المقهى وفرضت نفسها بعد الاحساس بها خصوصا وقد كانت استثناءا وهذا يشير انه حتى حالة الطقس تجد محلا لها في اعراب الخطاب وهذا ما يبين انه لا وجود لمواضيع محددة في الخطاب اليومي داخل المقهى وعلى ان هذا

الخطاب ليس مبني وفق جدول اعمال مدروس او صرامة منهاجية كما سلف وان اشرنا بل هي تخوض في كل شيء ينبثق من ادنى او ابسط اهتمام جمعي قد تثيره كلمة او شيء ما او موقف تجاه حصة تلفزية مثلا والتي قد تنال حظها من الوقت والحوار وقد تتوج بخلاصة بخلاصة بخلاصة او يمكن التخلي عنها بمجيء موضوع مفاجئ او على صورة تداخل حوارات ضمن الموقف الواحد الذي قد ياتي كممهد لانشغال اخر ياتي في سياقات متنوعة للموضوع الواحد اذ ياتي تشكل هذه الاخيرة من خلال تشكلها المتجدد عن طريق التغيير الذي يصيب تركيبتها بحسب الالفاظ التي تاتي في سياق الحديث او ما هو منطوق وحسب درجة المعرفة والقدرة على اعطاء المعلومة حول الموضوع وما يحيط به وبالتالي وكما سلف وان قلنا ففي المقهى غلبا ما نجد هناك من يقوم بتوجيه ومسايرة تلك المواضيع الخطابية فمثلا قد يشير احدهم في مقارنة بين حالتي الجو في وهران وحمام بوحجر على انها اقل حرارة باعتباره يحمل معلومة وهو قادم من عين المكان.

- **قضايا الهجرة:**

و في الاخير وليس اخرا ياتي الحديث عن الهجرة في فضاء المقهى وذلك بقناعة لدى لبعض بان الهجرة الى خارج البلاد فيها افاق افضل من اجل تكوين النفس والعيش الرغد وكسب المال وربح الكثير من الوقت عل راي احدهم *تخدم عام في الخارج احسن من عشرين سنة في البلاد* في دلالة على ان البلاد في الحال الذي هي عليه ليس بامكانها تحقيق الامال والاحلام والواقع انه بقدر ما يؤكد على حالة من الضيق التخبط والعجز لدى الشباب من الوضع الاجتماعي والاقتصادي فانه بالقدر نفسه يعكس جهل بعضهم وفهمهم الخاطئ لمسالة الهجرة الى رغم اتاحة بعض الفرص للعمل في الداخل الا

انهم يسعون الى الصعود السريع وبموقف هروبي حتى وانهم يسمعون للمشاكل وحالة اولئك الذين يعيشون في الخارج مما يطرح ثنائية الهروب من الازمة الى أزمة أخرى ضمن حركة مد وجزر كان طرفيها الفاعلين – المؤسسة الرسمية والحياة اليومية- التي تكون افرازاتها عبارات مثل الحرقة او الهربة او الهدة والتي غالبا ما تكون مجرد كلام فقط امام عدم القدرة على الفعل لمقتضايات فيها مسؤوليات كبرى وأولويات اجتماعية تكلف أصحابها البناء للمجهول حيث لم تكن له سوى نسبة02 بالمائة.

و الملاحظ ان الصورة العامة والمشهد المميز لموضوعات الخطاب داخل المقهى كما حاولت دراستنا رصده فيه زخم متنوع بتناقضاته وتجانساته واستاتيكيته وحركيته يمثل كثيرا من الارهاسات ذات الطبيعة السوسيو ثقافية الحية والفريدة على اكثر من مستوى تحليلي يجمع محتواه الخطابي كل ما هو حسي ومطلق وتجريدي وتصوري او مخيالي كما يبدا من العام الى الخاص او العكس.

* **التمثلات وتاثيرها على الخطاب .**

مما لاشك منه ا ن اي بحث او اي دراسة من الدراسات الحديثة التي تخص المجتمع فانه لا بد للباحث فيها ان يضع في الحسبان مجموع التصورات والتمثلات التي هي من تقاليد المجتمع والموروثةمن قبل فاعليه الاجتماعيين والتي تنعكس على تصرفاتهم وافعالهم ولغتهم او بالاحرى كل ممارساتهم الاجتماعية التي ينبغي ان نحللها للكشف عن مدى تاثيرها بما في ذلك ما هو صادر من اقوال بما اننا بصدد في البحث في الخطاب.

ولان كلمة تحليل هي من قاموس علم النفس الذي يحاول الكشف عن ما هو متخفي او مقنع او مسكوت عنه كما سلف وان اشرنا ولان تحليل الخطاب ينطلق من خلال مفاهيم تشكل ما اسماه

"فوكو" بالخبر الخطابي FORMATION DISCURSIVE المسبق بناؤهPRE CONSTRUIT

اذ ان هذا التياريحصر التحليل الخطابي في اهتمامين اثنين هما

اولا التركيز على التحليل الايديولوجي للنص كما هو الحال في الخطاب السياسي مثلا وبهطا يمكن معرفة اسماه بالسمك اللسانيEPAISSEUR LINGUISTIQUE.

ثانيا تبني التحليل الذي يقبل ابتذال المفاهيمBANALISATION DES CONCEPTESالتي تنفيها الامبيريقية ويحتضنها الخطاب وهطا لحاجة ايبستيمولوجية تضفي عليه حيوية على ادراك الاشياء التي نعمل عليها رغم ما يعترضنا من احساس بالمشقة في التحليل خاصة عندما يتعلق الامر بالخطاب حول الخطاب وما يكتنفه مت تصورات هذا ما قد يضاعف ويزيد في طبقات الخطاب RAJOUTER UNE COUCHEحيث لا يمكن ان نتلقى اي وسيلة لليقين مما يجعل مجالا للارتياب وتصبح الحجة في شتى التشكيلات الصورية الغوية التي قد تقودنا في احيان كثيرة الى تحليلات لا جدوى منها ويصبح السؤال لماذا التحليل وما هي فائدة ما نحلله والى اي لحظة يمكن استرجاع البعد الاجتماعي للخطابات وبالنسبة للباحث الذي لا ينتمي الى نفس البيئة ايجب عليه البحث في التصورات ام في الخطاب ام فيهما معا وكيف يمكنه التمييز ان الخطاب قد تاثر بتصور بعينه لانه مهما يكن فان هاته التحليل يمكن ان تصنف وفق خصوصيات على مستوى الممارسات اللغوية SPECIFICITES DES PRATIQUES[1] LANGAGIERS والصورية دون التنصل من ابجديات اللغة التي هي بدورها نتاج لفضاء سيميائي

1–HARRIS .Z :DISCOURSE ANALYSIS .LANGAGE TRAD. IN LANGAGE N13.8-45 1969

وجدت فيه هي نفسها على غرار المقهى مثلا كفضاء يمكن ان تحيا فيه بعض التمثلات التي تتمظهر في اشباه الجمل كما يسميها "هاريس" اذ حسبه فان التحليل الدوري للخطابات يبدا من وضع العلاقة التصورية ما بين شبه الجملة ومختلف انواع الجملة في علاقة اسماها التحولاتية[1]TRANSFORMATIONNELLE التي يكون للعامل النفسي فيها دور في اختيار المفاهيم واصطناع المصطلحات والالفاظ حسب تقاليد لغوية معينة او حسب مرجعية ثقافية ما .والتي تبرز جليا من خلال موضوع الخطاب في حد ذاته عندما يصبح المخاطب فيه منتجا حقيقيا للمعنى. وهذا بالعودة الى الموروث الثقافي او ارشيف معين من التاريخ كمرجعية وشكلا من اشكال المقاومة الفكرية اللغوية البراغماتية [2]. يكون الفضاء فيه متشبثا بالزمان كنظام قياسي لتققيم المحيط الذي نوجد فيه. كما ان الخطاب في محتواه الشمولي يعتبر حاملا لموضوع جماعي بينما استثماره يكون فردي حيث يعطى له معنى يتماشى مع الارث الجماعي وقيمة فعالة كممارسة لغوية لها جذورها التي تمثلها التنشئة الاسرية والعائلية لباء في وضعيات متنوعة الشيء الذي ينتج دائما تحليلا احتماليا ANALYSE PROPOSITIONNELLE [3] كما ان نظرية التمثلات الاجتماعية يمكن كذلك اختبارها من خلال معرفة كيفية التشكيل الخطابي من الناحية السانية وهذا ما يزيد من التعقيد في الكشف عن ابعاد الخطابات او حتى في تحليلها ما دام لكل لسان تقاليد معينة تنعكس على اختيارات لغوية دون اخرى في مفرداتها وافكارها وغيرها مما يجعلنا ننجذب الى طبيعة اللغة في ظاهرها قبل دلالالتها. لذا فاننا نكون دائما في محاولات في البحث عن ذلك التمفصل ARTICULATION بين ما هو لساني وما هو اجتماعي كوجهان لعملة واحدة الشيء الذي يكثف ويزيد في شساعة التحليل الذي قد تظهر علية مجموعة من القونين والمدونات التي هي موجودة فعلا في المجتمع تتمظهر على خطابه.

1-المرجع نفسه

2-MALDIDIER D :l'inquietude du discour, texte de michel pecheux edition des cendre paris 1990p89

3-GHIGLIONE R,MATALON B,BACRI N :les dires analysés-lanalyse propositionnelle du discour PUF paris 1985 p

وهذا ما راه بيار بورديو في ما اسماه" بالهابيتوس" والذي حسبه هو الذي يشكل منطلق الاملاءات الاجتماعية في الوسط المشغول او الممتلك اذ يمثل المعطيات الاولية للتفكير والتخمين والمتمثلة في مجموع القيم والمعايير الملقنة منذ الطفولة وعبر كل مراحل التجارب الاجتماعية حيث ان الهابيتوس يفسر الاستعدادات والنزعات LES TENDANCES المحيطة والتي تختلف من فرد لاخر [1] والتي تكون لها انعكاساتها الواضحة في المجتمع من خلال تلك المعتقدات والتقاليد الواعية و اللاوعية والتي تطفو فوق سطح كل الممارسات بما فيها اللغوية او الخطابية

.فمثلا يمكن ايجاد جملة من التقاليد عند الافراد كالعنفوان والكلام بالاشارات والتي هي من ميزة الفرد الجزائري والتي لوحظت بجلاء على مستوى الخطاب داخل فضاء المقهى كما لفت انتباهنا

الى العديد من السلوكات والتصرفات التي تنبىء باشياء كثيرة تندرج في اطار المخيال العام يمكن ادراج بعضا من هذه الملاحظات فيما يلي

– مشاركة الفرد داخل المقهى في كل المواضيع والقضايا المثارة مهما كانت وهي في تصوره مجرد كلام وعلى انها حوادث متكررة معتقدا انه هو الوحيد الذي يملك الحقيقة حولها فحتى وان انتقد فيها او اخطا فانه يعيد صياغتها باكثر من حجة.

–غالبا ما يجلس الفرد المنحدر من بيئة خارج فضاء المدينة مع نضرائه داخل المقهى من ابناء حيه

او قريته حتى وصل الحد الى تسميات المقاهي فتسمى هذه مقهى ابناء القرية الفلانية وهذه لابناء الحي الفلاني وهذا ما يمثل ذلك التحول االصوري والتقليدي المشترك. كما تاخذ المقاهي اسماءا سيميائية

اخرى حسب طبيعة المواضيع المثارة او الفئة المرتادة اليها فتسمى هاته مقهى الرياضة وتلك مقهى الشباب وما الى ذلك من التسميات.

- يظهر على الفرد الذي يجالس اشخاصا يعرفهم وليسو من ابناء بياته نوع من التقييد والتحفظ والتصنع الخطابي اذ يلاحظ ان استماعه اكثر من تدخلاته الخطابية.

- لا يحبذ الكثير الجلوس في وسط المقهى وفي هذا دلالة اعتقادية اخرى وغالبا ما تحول حرارة الخطاب او سريته الافراد الى تغيير الامكنة والخروج للجلوس في الطاولات الموجودة بالخارج وذلك بحثا عن ارحية اكثر لدرجة تغيير حتى نوع الكرسي ان كان بالمقهى عدة انواع من الكراسي

-غالبا ما تكون فواصل ارتشاف القهوة او اشعال سيجارة لدى البعض مؤثرة جدا في بعث الخطاب من جديد او تحوله الى خطاب اخر من حيث الموضوع

النموذج العام لمواضيع لقضايا ومواضيع الخطاب اليومي داخل المقهى

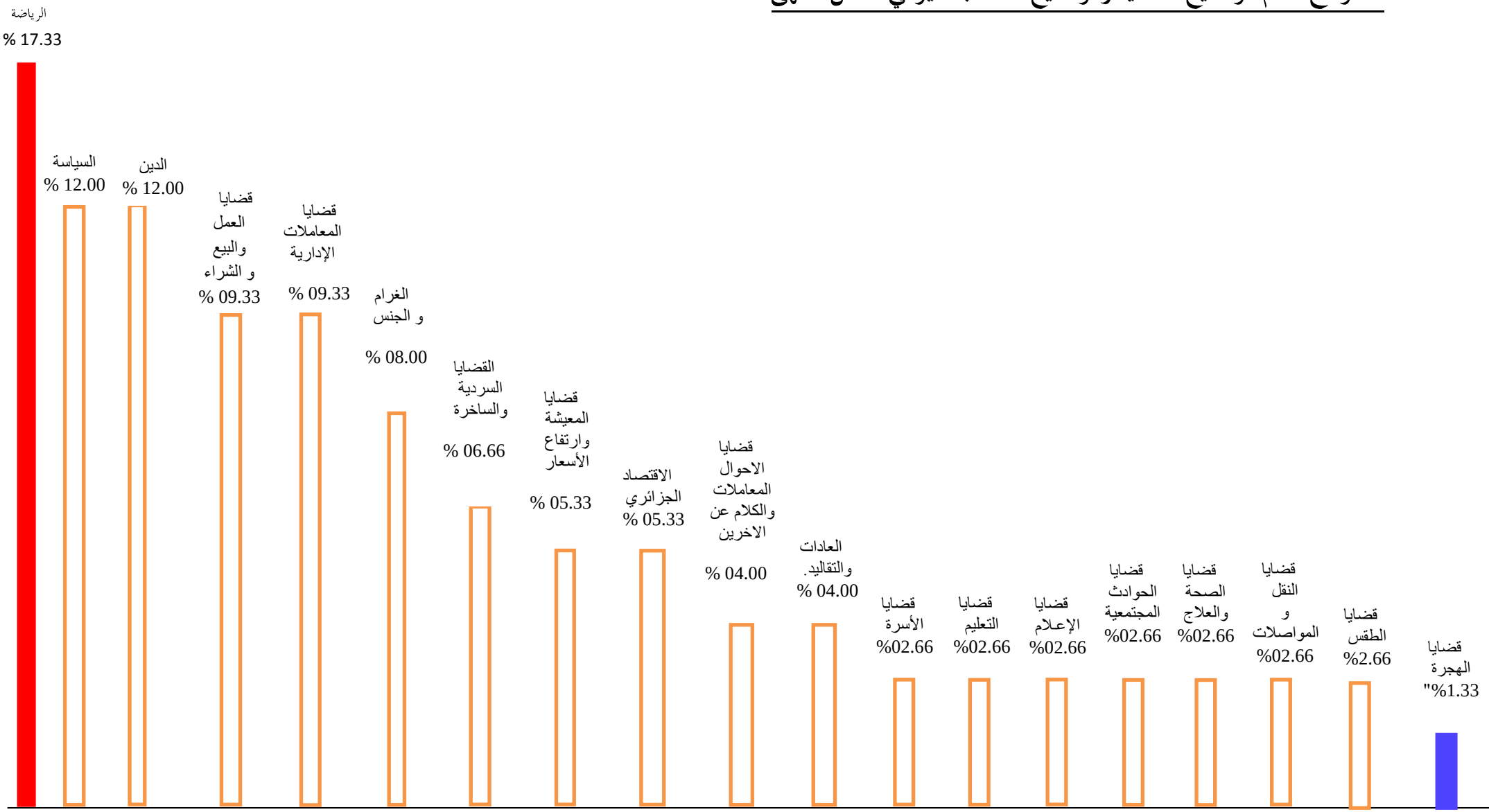

ان تحليل ظاهرة الاتصال في مجال حي كالمقهى بحسب الخطابات اليومية ومن خلال الموضوعات المتجاذب الحديث فيها هو عملية غاية في الاهمية وهذا لثراء الحياة اليومية وصدقها وعمقها الدلالي والسوسيوثقافي. الا ان الاحكام التي التي تظهر عليها جمله الافصاحات التي تبنى في طيات الخطاب تظل محاولة هامة في التحليل واعادة النظر من اجل تكميل وترشيد ووضع كافة الارتباطات مع الواقع الاجتماعي المتجدد الذي يحتاج الى جهود الباحثين لمعرفة خباياها ومقاصدها داخل النظام الاجتماعي

كما ان الحكم على الواقع الاجتماعي المعاش يستدعي تناول الدعائم التي يقوم عليها هذا الاخير في كافة النواحي التاريخية والسياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية وغيرها خاصة اذا ما علمنا ان المجتمع الجزائري له امتداد عريق في التاريخ بحيث يمثل وحدة في ماضيه وحاضره الى جانب درجة سيرورته نحو السعي الى البحث عن مستقبل افضل كما ان الخارطة الجيو سياسية تمتد لترسخ ركائز الدولة و الشعب وكامل الهياكل الاقتصادية وهي تواكب مختلف التطورات التحتية والفوقية التي احدثتها قوى الانتاج منذ ما قبل الاقطاعية الى عهد الاستقلال والانفتاح وفوق هذا كله فان البنية الثقافية للمجتمع الجزائري قائمة على التمازج بين انماط من الثقافات الفرعية وهي بهذا تمثل نسقا غنيا ومتنوعا كل هذه الاعتبارات تستوجب احكام منهج الاصغاء الى المجتمع بجمع مادة الحقائق ومن ثم تحليلها ضمن مرجعيتها المجتمعية نفسها أي بتخليل المجتمع من خلال المجتمع نفسه وهذا كله لمعرفة دلالاتها السوسيولوجية.

ولان دراستنا هذه طالت المقهى كفضاء مشكل لصور خطابية وهذا بعيدا عن الادارات و الاماكن الرسمية لما تكتسيه من طابع يطغى عليه التنظيم والقوانين الشكلية التي تفرض شد الاهتمام الى الانشغال العملي وهي خصائص اردناها ان لا تكون في عينة بحثنا هذا وذلك لامكانية تعارضها مع هدف مقاربتنا. التي قد يكون لها فضاءات اخرى كالمسجد والشارع والحمام والسوق والمحطة والمطعم وغيرها لما يميزها من لارسمية في اتخاذ المضامين المباشرة من مسرح الحياة الناس يوما بعد يوم بتكرارها وتغيرها وكان التركيز على المقهى باعتبارها تاتي بعد كل هاته الاماكن خالقة جوا احسن للملاحظة خاصة لان أي كلام في الاماكن الاخرى قد يعاد وقد يضاف اليه او ينقص في المقهى باعتبارها تسترعي كامل النظر بعد جلسات الناس للراحة والحديث والفضفضة في كل الاوقات واطولها على عكس باقي الفضاءات التي تكتمل تواصلاتها بمجرد اكتمال خدمتها غير اخذة المدة الزمنية نفسها انها حقيقة ظاهرة تستدع النظرفي الحالة التي يقضي فيها الناس اوقات الفراغ وقلة العمل الذي يحتاج فيه هؤلاء ذلك المتنفس المؤدي الى النسيان وفي نفس الوقت تعبيرا عن بعض الحاجات ولا يقتصر الامر على فئة عمرية معينة اذ يدخل الجميع في اتصال مع الاخر هذ ا ما يشكل جوهر التنوع في الخطاب الاجتماعي اليومي اذ يمكن ملاحظة شباب وكهول على طاولة واحدة وحتى بعضا من الشيوخ وهذا ما يجعلنا نرى ذلك التلاقي و الاحتكاك الثقافي بين الاجيال وكان حلقات الاتصال الخطابي في المقهى تمثل مؤسسة للتنشئة الاجتماعية العفوية وغير المخطط لها كما هو الحال في سائر مؤسسات التنشئة. وان تواجد مختلف الاعمار بالمقهى يبرز ذلك.

عناصر العملية التواصلية و تأثيرها على الخطاب داخل المقهى:

أ. الفئة العمرية:

الفئات العمرية	متوسط عدد الحضور بالمقهى	النسبة المئوية
شباب	50	%"66.66
كهول	20	%26.66
شيوخ	04	%5.33
المجموع	75	%100

من خلال الجدول يتضح ان فئة الشباب هي الكثر حضورا بنسبة 66.66 % و هذا يعني ان هذه الفئة هي الأكثر عددا في مجتمعنا والتي تتردد عل المقهى بهذا العدد او ما يزيد بالنظر ال نسبة العطالة او الاشتغال الحر او غير الدائم على عكس ما يشكله حضولر فئات الكهول والشيوخ بمعدلات حضور قليلة بالمقارنة مع حضور الفئة الشبابية وقد انحصرت بنسب مئوية تراوحت بين 05.33 % و 26.66 % بالمئة والتي كان حضورها في الغالب في نهاية اليو م مما يفترض ان تكون فئة عاملة او لها أولويات تجعل من المقهى وجهة اخيرة بعد قضاء حوائج اخرى حسب مختلف مسؤولياتها الاجتماعية كما كانت مختلف المواقف ذكورية محضة بحسب تقاليد و اعراف لا تسمح للمرءة بالجلوس بالمقهى على عكس بعض المناطق الاخرى التي يكثر فيها النسيج العمراني كالمدن الكبرى التي قد تجد المرءة لها مكانا في المقهى.

- **عدد عناصر العملية التواصلية:**

كما لفت انتباهنا كذلك ان عدد العناصر المشاركة في العملية الاتصالية او التخاطبية له دوره التفاعلي في طرح المواقف وحتى امكانية تغييرها او كثافتها او اقتصارها او من حيث مدة التداول حول القضية الواحدة في الخطاب كما يبنه الجدول الموالي

عدد المتخاطبين	عدد المواقف و القضايا المطروحة	النسبة المئوية
02	16	%21.33
03	21	%28
04	28	%37.33
05	10	%13.33
المجموع	75	%100

ويظهر من خلال الجدول ان هناك ميزا ن ضمني يصنعه عدد العناصر المتفاعلة في عملية التواصل الخطاب وهذ بطريقةتصاعدية اذ انه كلما زاد عدد المشاركين في الخطاب حول طاولة المقهى كلما زاد التواصل صعوبة في الخطاب لكثرة الكلام ا ذ يظهر من الجدول ان هناك ميل في المواقف الاتصالية يحصر العناصر المتفاعلة بين العد 2 و4 وان العدد اربعة هو الغالب ففي الوقت الذي يزيد فيه غدد المواقف من 2 الى 4 فانها تتجه نحو النقصان بعد العدد 5 ومن الناحية العملية فانه كلما قل العدد كان الاتصال ممكنا وكلما زاد كما قلنا عسر وزاد من تشتت وشرذمة العملية

الخطابية حيث يلاحظ ذلك الانقسام في المجموعة نفسها الى اكثر من واحدة ويفقد بذلك تاثيره وحيويته.

معالم انتاج الخطاب

من خلال ما افرزته الدراسة فانه يبدو جليا ان مواضيع الخطاب لا تخرج عن اطار المحاور الكبرى التالية للافراد داخل المجتمع

- الانشطة الاجتماعية المختلفة
- الذوات وعلاقاتها الاجتماعية.
- الموجودات.
- الزمان والمكان والاحوال.
- القيم.

- وعليه يبدو جليا ان سيرورة الخطاب في المقهى تشكل مكونا اساسيا لباقي السيرورات الاجتماعية ولا يمكن ان تخرج عن ذلك مشكلة مستويات خطابية عامة بالرغم من انها لا تعبر عن سياق معلوم على اعتبار ان تنوع مواضيع التواصل الخطابي هي من تنوع الحياة الاجتماعية نفسها وظاهرة تجد تفسيرها في متغيرات كثيرة.فواقع المرحلة التي يمر بها مجتمعنا وما تفرزه من تحديات على مستويات مختلفة وقضايا العالم الخارجي واثارها على الاوضاع الداخلية

الشباب بما يزرع فيهم من ثقافة استهلاكية متقبلين اياها بطريقة عمياء في الملبس والماكل وسائر اساليب الحياة..

فالمظاهر والتجليات التي تركتها العولمة خاصة في شقها الاقتصادي والتي تبدو الاكثر تاثيرا والاكثر وضوحا على الاقل في هذه المرحلة التاريخية حيث تؤكد الدلائل الموضوعية على ان هذا الشكل من العالمية هي الاكثر هي اكتمالا والاقوى على التحقق في الميدان الواقع

كما ان الطابع الاعلامي الذي تحدثنا عنه يفرض وجوده في خضم مختلف التواصلات الخطابية فهوحاضر في اثارة بعض القضايا او في تشكيل بعض المواقف والاراء من حولها . والملاحظة على هذا جاء ورودها من خلال جدول المواضيع المثارة الذي تصدرته مواضيع الرياضة وان طغيان هذا النوع من القضايا من خلال الخطاب لم ياتي هكذا بالصدفة بل نتاج لواقع اجتماعي متميز ومتاثر بالراي والصورة التي تاتينا من الاخر بخصوص لعبة كرة القدم ومختلف البطولات الاوربية ولما كانت كرة القدم اللعبة الاكثر شعبية التي ينساق اليها السواد الاعظم من الجماهير من اجل الترويح والابتعاد عن شتى المشاغل المؤرقة ويتجلى ذلك في المظاهر الاحتفالية باللعبة في الوسط الاجتماعي المحلي لدى شباب المدينة الوافدين على المقهى الجهزة باجهزة التلفاز والهوائيات لا للتتبع الجماعي لمختلف المباريات لمختلف الدوريات العالمية اذ يتحول فيه مشهد المقهي كملعب حقيقي يشوبه الحماس الكبير اذ تراهم يبدون كمناصرين حقيقيين.

و بالوقوف على العامل الزماني في الدراسة فانه يمكن استخلاص انواع وانماط خطابيه تتبع حدث معين او مناسبة ما او ما هو حاصل خلال فترة زمنية معينة او من خلال عموميات موضوعاته او من حيث البيئة الدائر فيها او من خلال التاثر بالاخر اذ يمكن ان نصنف الخطاب وفق هاته العوامل الاربعة من المنظور المجتمعي العام ونقول ان الخطاب يتماشى معها .

- **أنماط الخطاب التي افرزتها الدراسة:**

استطاعت دراستنا ان تخلص اليه كاشفة اربع انواع من الخطاب في المجتمع من خلال واجهة المقهى والتي يمكن ان ندرجها فيما يلي

1-خطاب الحدث الطاغي وهو الخطاب الذي يخوض في واقعة ما او حدث سرعان ما كان له الاثر الاجتماعي

2-خطاب موسمي وهو الذي يتبع شتى المناسبات والمواسم كالموسم الفلاحي والموسم الدراسي وغيرها من المواسم التي تكون حسب الزمان والبيئة

3- الخطاب السردي وهو الخطاب الذي يخوض في مختلف القضايا والمواضيع اذ يشمل ذلك الحديث المتواصل في الاشياء والاشخاص والامكنة وسائر التجارب الفردية والاجتماعية

4-خطاب شبه ايديولوجي وهو ذلك الخطاب المؤسس من اجل اغراض فردية او جماعية

- **البعد الدلالي لبعض العبارات المستقاة من الخطاب في فضاء المقهى:**

جدول يبين دلالات بعض العبارات الواردة في الخطاب اليومي

العبارات	البعد الدلالي
*دبر على روحك في هذه البلاد *المليح ربي والبانكة	-بعدالبحث عن التوازن بين الروح والمادة
*المهم الدراهم وما على بالي حتى بواحد	بعد انانية منفعي مادي
*ما عطاونا والو	بغد تشاؤمي ساخط
*الدعوة راها طاق على من طاق	بعد البقاء للاقوى
*كل واحد راه لاهي في نفسه	بعد يظهر فيه غياب التضامن والتكافل الاجتماعي
*العيشة غلاة والمسكين طفرت فيه	بعد العجز في مواجهة الاعباء وعدم المقدرة
*ما راناش عارفين وين رانا غاديين	بعد يتجلىفيه الغموض في رؤية الافاق والتوجه نحو المجهول
*اللي قراو شا داروا	بعد الاستخفاف واللامبالات بالقيمة العلمية والمعرفية
*الخير قطعوه	بعد تلاشي القيم الاخلاقية
*القلوب ما راهيش مليحة	بعد الانحلال السلوكي والروحي
*ايليقنا باش نلحقو بالاخرين	بعد التاثر بالاخر
*غير يوفرونا ندبرو ريسانا *كلشي رجع بالمعرفة	بعد عدم الثقة
*الخائن رجع قافز والعاقل رجع راقد	بعد تحول على مستوى المفاهيم
*هم راهم باغين هذه الحالة	*-بعد الافتعال في الوضع الموجود عليه المجتمع
*يا حسراه على بكري	بعد التحسر على الماضي والحنين اليه
*الموت ولا هذه العيشة	بعد الاحباط والياس
*الواحد ما لقاش روحه	بعد البحث عن الذات

خلاصة عامة

ان المتمعن لسياقات الخطاب اليومي في فضاء المقهى الذي هو بمثابة حيز هام لقراءة المجتمع بشكل عام باكثر واقعية ومصداقية نظرا لميزة العفوية والحرية الخطابية الموجودة في المقهى دون غيره من الفضاءات اذ انها تمثل مكانا لتفريغ كل الاراء ان جاز التعبير ومنبع في نفس الوقت لاعادة انتاجها ومن هذا المنظور ومن خلال مختلف القضايا الواردة في الخطابات والتي تم رصدها في بحثنا هذا وان تنوعها هو من تنوع الحياة اليومية المؤثرة في حياة الافراد والمجتمعات.

اذ يعتبر الحقل الثقافي عموما من اهم الحقول المتاثرة بالمتغيرات والتحولات الدولية الراهنة خصوصا على مستوى اشتداد الصراع الثقافي وهيمنة الثقافة العالمية على كل الاصعدة والميادين والتحدي العظيم الذي سيواجه العالم هو في الحقيقة تحدي ثقافي فالاعلام الغربي على سبيل المثال وعلى اعتباره قوة تكنولوجية مؤثرة في الامتلاك والتحكم في مصادر الخبر فهو قادر بما يملك من امكانات مادية وعلمية على عرض رسائله بالسرعة والتقنية الفائقة والمبهرة الى أي مكان في العالم والتي صار ت لها قبضتها على كافة المجتمعات المتلقية مؤثرة على العقول والسلوكات والقيم الموجودة وهذا بقيم اخرى مادية جديدة وهذا التاثير يظهر جليا في اوساط الشباب مما يزرع فيهم ثقافة استهلاكية متقبلين اياها بطريقة عمياء في الملبس والماكل وسائر امور الحياة .

اذ يمكن القول ان مظاهر وتجليات العولمة يبدو تاثيرها الواضح على مستوى الخطاب ليس على مستوى المقهى فحسب بل في سائر الاتصالات الشعبية في شتى الامكنة الاخرى الا انها في المقهى تتميز بالحرية والعفوية التي قد لايمكن ان نجدها في مكان اخر .كما يبدو ان الشق الاقتصادي في

العولمة هو الاكثر تاثيرا ووضوحا على الاقل في هذه المرحلة التاريخية. حيث تؤكد الدلائل الموضوعية على ان العولمة الاقتصادية هي الاكثر اكتمالا وتحققا على ارض الواقع اذ يبدو من مواضيع الخطاب ان الطابع الاعلامي حاضر في اثارة بعض القضايا او في بلورة وتشكيل المواقف والاراء من حولها والدليل على هذا يمكن استخلاصه من ترتيب القضايا المرصودة اذ تصدرت الرياضة القائمة الموجودة في الجدول كنتاج لواقع اجتماعي متاثر بالراي والصورة التي تاتينا من الاخر وقد تذيلت قضايا الهجرة الترتيب بنفس تاثير الصورة الوافدة كما ان لهذا تفسير اخر من خلال هذ الترتيب الذي يبدا بمحاولة نسيان الواقع وهموم الحياة اليومية باتخاذ قضايا كرة القدم والتي هي مجرد لعبة لااكثر ولا اقل من اجل الترفيه لدى الشباب في المقهى ثم ينتهي بالخوض في قضايا الهجرة كموقف هروبي كرسالة واضحة لما تركه الواقع من تاسف وياس واحباط وعدم الرضا على الوضع القائم.اذ تبين ان الخطاب داخل المقهى محل الدراسة قد شكل اطارا منطقيا لرؤية اجتماعية تتميز في غالبيتها بنوع من التشاؤم والسخط خاصة عندما يتعلق الأمر بأوضاع الدولة وهي حالة العجز عن حل المشاكل الاجتماعية الامر الذي ينتج توجها منفردا اساسه مادي بالدرجة الاولى وهذ ا حقيقة ما يتجلى في الخطاب وعليه فان خطاب السلطة بالنسبة لهذا الخطاب هو على النقيض تماما باعتباره يضع المجتمع في الانتظار في الوقت الذي يعيش فيه السواد الاعظم من افراد المجتمع حالة من القلق والخوف من المستقبل اذ هناك عبارة سرعان ما كانت تتكرر في خطاب الشباب والتي قد تكون لها اكثر من دلالة وهي عبارة *ملينا من الانتظار وعلى الواحد فينا باش يدبر على روحو* فالتدبير عن الروح يمكن تفسيره في شقين التدبير من خلال العبارة هوالاجتهاد الشخصي والاعتماد على النفس بكل الطرق والامكانات المادية المتوفرة لدى الفرد

بينما الروح فهي كلمة لها دلالة ابعد ما تكون ذات طقوس قيمية دينية. كما ان للعبارة دلالة شمولية يبحث صاحب الخطاب فيها عن الذات وذلك التوازن بين الروح والمادة ولعل هذا هو جوهرالمشكلة في مجتمعاتنا التي لا زالت لم تجد نفسها في ثنائية العولمة والتقليد..اذ يمكن ان نمثل هذا وفق النمزذج التالي

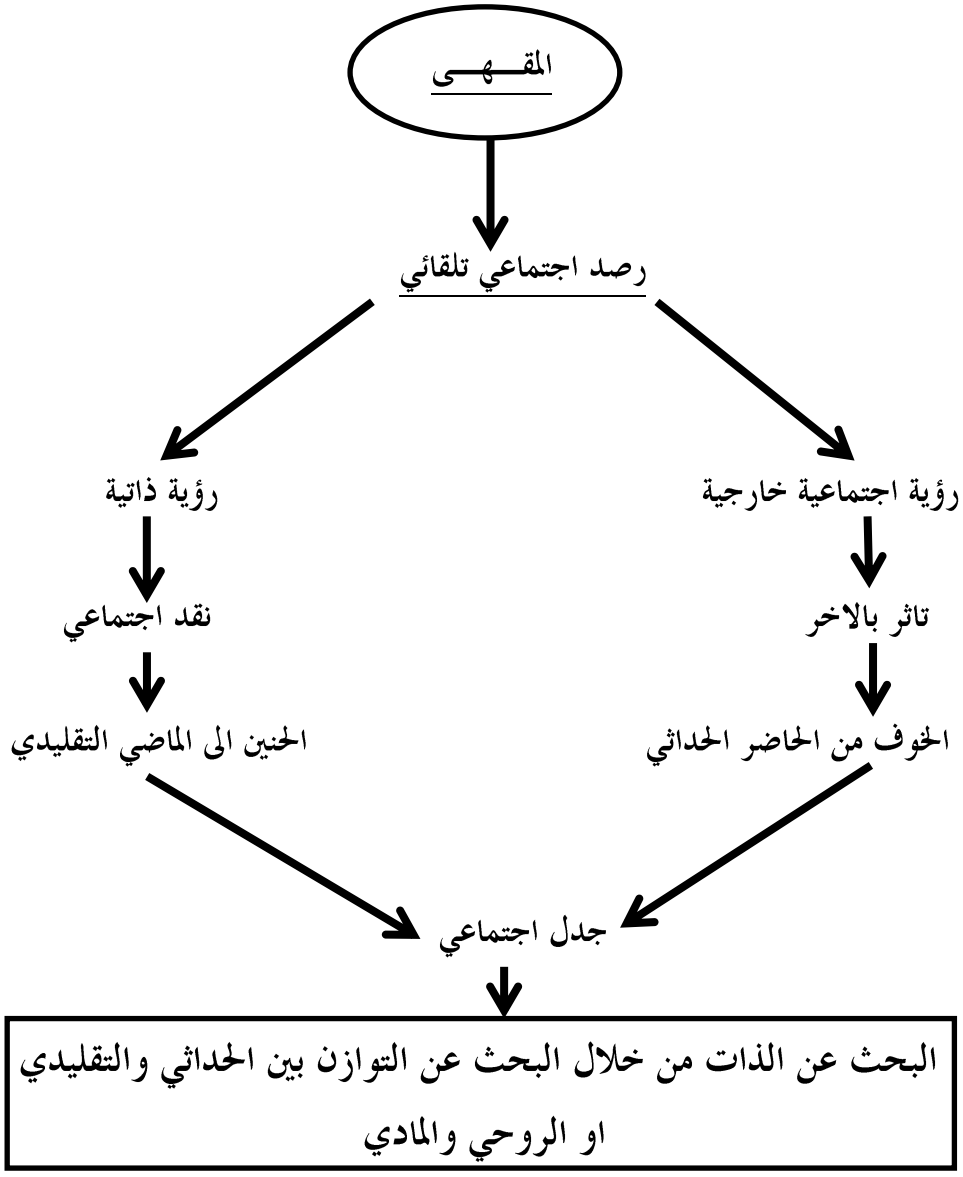

الخاتمة

إن المجتمع وهو يتكلم فانه من دون شك يعبر عن أشياء موجودة فيه أولا ثم إلى ما يحيط به حسب درجات من التأثير التي تخلق صنفا من الأولويات في تبني نوع من الخطاب المتداول في مؤسسات المجتمع وان الرغبة التي يجدها الفرد وهو يتردد على المقهى هي في الواقع اجتذاب نحو تشكيل ذلك البرلمان الشعبي الخالص الذي يفرز مختلف الاقتراحات والانتقادات والآراء حول القضايا المشتركة والخاصة وان هذا اللقاء والتواصل الشعبي الموجود في فضاء المقهى انما يكرس في عمومه مسالة البحث عن الحلول في مختلف القضايا العالقة على مستوى الافراد والجماعات بعد اطلاعها على كل تجاربها و محاولة الاستفادة منها من اجل سيرورة اجتماعية مثلى داخل ما يسمى بالمعاش او الحياة اليومية التي لطالما كانت قوانينها وتنظيماتها السلطوية قاهرة فوق طموح وقدرة الافراد في تحقيق مختلف المآرب والحاجات داخل المجتمع خاصة في جانبها الاقتصادي الذي فرض نفسه على هذا النوع من الخطاب الذي حاولت دراستنا هاته الخوض فيه ولعل تفضيل البعض فضاء المقهى للتواصل فان في ذلك سر اخر استطاعت دراستنا هاته الكشف عنه اذ يكمن في الابتعاد عن ذلك الضغط الاجتماعي الذي يبدا من الاسرة وينتهي عند الدولة وبينهما امور مشتبهات اثرت على مستوى البنية الاجتماعية واحدثت خللا في الوظائف سرعان ما اتعب كاهل الفرد والمجتمع ككل واخلط أوراقه وجعله يسعى في البحث عن النمط الكفيل لتوفير المطالب التي تبقى مادية بالأساس لانه مهما يكن فان الخطاب النابع من الاوساط الشعبية في المقهى هو الذي عجل بالخروج الى

الشارع رافعا مقولة الشعب يريد..... في الوقت الذي افرط فيه النظام في التبريرات والوعود وسئم المجتمع من الانتظاروالركود.

كما ان ما ياتي في ثنايا الخطاب اليومي كفيل لوحده ببلورة ذلك الحس المشترك الذي يصبو الى البناء الاجتماعي الملائم لمقتضيات الحياة اليومية رغم ما يشوبه من انانية لاحظناها جليا الا انها انانية ايجابية تشكلت في موقف حماسي لا غير في لحظة من الشعور بالنقص و اللهفة للتطلع الى مستقبل أفضل ان تحقق فلن يكون من صنع يد واحدة لانه في الاخير يحتاج الى اقحام أياد أخرى تنتهي عندها تلك الأنانية.حينها تنبت روح التكافل والتضامن الاجتماعي ما دام انه ليس هناك مجتمع من غير أفراد.ونحن في هذا الصدد لا نريد التأسيس لمجتمع ميثالي يتوقف الكلام عليه ويخلو من الانتقاد لان ذلك وارد حتى في المجتمعات التي نالت من الحضارة والرقي ما نالت والشواهد كثيرة في تاريخ الامم و حتى في جمهورية أفلاطون .لأنه ليس من المعقول ان لا تكون في المجتمع هموم وقضايا يعبر عنها ويثار الخطاب من حولها حتى وان كان هذا الخطاب يختلف من مجتمع لأخر باختلاف الظروف. فما يثار مثلا في مقهى بباريس ليس بنفس الشكل لما يثار في مقهى بوهران لا من حيث درجة النقاش والوعي ولا من حيث طبيعة الخطاب نفسه رغم التشابه في بعض قضايا الخطاب.لكن في اخر المطاف تبقى المقاهى نقطة لقاء و تواصل هامة في أي مجتمع تجمع في فضاءاتها مختلف شرائحه وفاعليه الاجتماعيين حاملين رسائل حوارية ذات مضامين

حقيقية تعبر عن الواقع المعاش بكل محاسنه ومعايبه وحسبها في ذلك الاسهام في انجاز مشروع مجتمع بإرادة شعبية و بخطاب ديمقراطي موجه في المقام الاول الى العاكفين على تسيير امورها.....و ليس هناك في راينا اكمل واجمل من ديمقراطية المقهى ان وجدت لها أذانا صاغية تعبرها و صدرا رحبا يضمها .

قائمة المراجع

1–محمد عابد الجابري الخطاب العربي المعاصر– دراسة تحليلية نقدية مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط2 –1995

2–نورمان فاركوف تحليل الخطاب – التحليل النص ي في البحث الاجتماعي ترجمة د .طلال وهبة. مراجعة نجوى نصر المنظمة العربية للترجمة ط1 بيروت 2009

3– نورمان فاركلوف– التحليل الثقافي–في الخطاب والممارسة الاجتماعية– ترجمة رشا عبد القادر.القاهرة2002

4–محمد حافظ دياب. سيد قطب. الخطاب والايديولوجية.دار الثقافة الجديدة القاهرة الطبعة 1 1987

5–رضا الابيض. سلطة النص الشكلية. كتابات معاصرة عدد 33 مجلد 9 بيروت 1998

6–زواوي بغورة. مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو . المجلس الاعلى للثقافة القاهرة 2000

7–ابراهيم ابراش. علم الاجتماع السياسي. دار الشروق عمان الطبعة 1–1998

8– ايان كريب. النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس. ترجمة محمد حسين غلوم .عالم المعرفة الكويت1999

9–ا. بوتومور. علم الاجتماع والنقد الاجتماعي ترجمة وتعليق محمد الجوهري واخرون دار المعارف القاهرة 1981

10– احمد ابوزيد.اعمال بيتر برجر. ميشال فوكو.ماري دوجلاس. يورقن هابرماس. ترجمة فاروق احمد مصطفى واخرون. الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 2009

11–احمد زايد. خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري. دار القراءة للجميع الطبعة 1 دبي 1992.

12–نصر حامد ابو زيد. نقد الخطاب الديني. مكتبة مدبولي القاهرة الطبعة 3 –1995

13–جيهان سليم.عولمة الثقافة واستراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة. المستقبل العربي دوع بيروت العدد293 سنة 2003

14–علي نجيب ابراهيم. جمليات اللفظة بين السياق ونظرية الفهم دمشق.ط1 سنة 2002.

15–سيار الجميل– في مفهوم العولمة – تعقيب – في العرب والعولمة– بحوث ومناقشات الندوة الفكرية لمركز دراسلت الوحدة العربية تحرير اسامة امين الخولي م و د ع.ط1 .بيروت 1998

16–رشيد حمدوش . الاستراتيجيات العلائقية . الرباط الاجتماعي واشكالية التقاليد والحداثة. الجزائر نموذجا دراسة ميدانية اطروحة دوكتوراه 2007

17–رشيد حمدوش .مجموعة مقالات - علم الاجتماع في الجزائر–مسالة الرباط وسوسيولوجية الحياة اليومية– مجلة اضافات العددان 17–18 شتاء–ربيع 2012

18– احمد ولد سيدي.تحليل الخطاب السياسي –دراسة اتنوغرافية اتصالية في الخطاب الموريتاني .القاهرة 1998

19 – أحمد أبو زيد المدخل إلى البنائية المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية القاهرة سنة 1995
20 — محمد بيومي. انحرافات الشباب في عصر العولمة. دار قوباء لطباعة و النشر ج2 القاهرة سنة 2003
21– انطونيو غرامشي: قضايا المادية التاريخية سلسلة السياسة و المجتمع، ترجمة فوازطرابلسي، دار الطليعة للطباعة و النشر، سنة 1971
22 – د. جابر نصر الدين و ابراهيم الطاهر، الملتقى الدولي حول سسكولوجية اتصال الشعبي و العلاقات الانسانية 20 و21 و22 مارس 2005، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
23-سمير نعيم المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية المكتب العربي للاوفست القاهرة ط 5 1992
– 24هناء عبيد العولمة.مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام القاهرة2001

قائمة المراجع الاجنبية

1-LEFEBVRE.HENRI. LA VIE QUOTIDIENNE DANS LE MONDE MODERNE EDITION GALLIMARD .PARIS 1968

2- LEFEBVRE.HENRI.CRITIQUE DE LA VIE QUOTIDIENNE.FONDEMENT D UNE SOCIOLOGIE DE LA QUOTIDIENNETE TOME 2 ED L ARCHE PARIS 1961

3-GOFFMAN .ERVING. LA MISE EN SCENE DE LA VIE QUOTIDIENNE TOME2 LES RELATIONS EN PUBLIC. EDITION DE MINUIT PARIS.1973.

4-GIDDENS.ANTHONY.LA CONSTITUTION DE LA SOCIETE. ELEMENTS DE LA THEORIE DE LA STRUCTURATION.TRADUCTION PAR MICHE L AUDET. PRESS UNIVERSITAIRE DE France .PARIS 1987.

5- GIDDENS.ANTHONY.THE THIRD WAY.THE RENEWAL OF SOCIAL DEMOCRACY . PROLITY PRESS LONDON 1998.

6- GOSEPH ISSAC-ERVING GOFFMAN ET MICRO SOCIOLOGIE.PRESS UNIVERSITAIRE .PARIS1998

7-LILIANE.VOYE.SERVAIS EMILE ET REMY JEAN. PRODUIRE OU REPRODUIRE. TOME 1. CONFLITS ET TRANSACTION SOCIALE. ED .DE BOECK.BRUXELLE1978

8-SCHUTZ. ALFRED. LE CHERCHEUR ET LE QUOTIDIEN. PHENOMENOLOGIE DES SCIENCES SOCIALES. KLINCKSIECK- MERIDIENS- PARIS1987

9- ALAIN VULBEAU. LA GEUNESSE ET LA RUE ED. DESCLEE DE BROWER PARIS .1994

10-GURVICH. GEORGE . LA VOCATION ACTUEL DE LA SOCIOLOGIE.PRESS UNIVERSITAIRE DE France.PARIS1963

11-JAVEAU.CLAUDE. LA SOCIETE AU JOUR LE JOUR. ECRIT SUR LA VIE QUOTIDIENNE.LA LETTRE VOLE- BIBLIOTHEQUE ROYALE DE BELGIQUE- BRUXELLE 2003.

12-HOGGART.RICHARD.LA CULTURE DU PAUVRE. TRADUCTION DE JEAN –CLAUDE PASSERON. EDITIONS DES MINUIT. PARIS 1970.

13-POP L.ESPACES DISCURSIFS. POUR UNE REPRESENTATION DES HETEROGENEITTES MONTREES.PETER LOUVAIN 2000

14-MICHEL F. DISCIPLINARY. POWER AND SUBJECTION : BLACK WELL OXFORD CAMBRIDGE USA 1994

15 PIERRE BORDIEU JEAN CLAND PASSERON ELEMENT POUR UNE THEORY (2) D'ENSEIGNEMENT EDITION MINUIT PARIS 1970

.16-BOUKHOBZA MHAMED. EVOLUATION OU REPTURE. BOUCHENE. ALGER 1992

17- NORMAN FAIRCLOUGH . LANGAGE AND POWER .LONGMAN .LONDON 1989.

18-DJAMEL GUERID . L EXEPTION ALGERIENNE .LA MODERNISATION A L EPREUVE DE LA SOCIETE EDITION LA CASBAH ALGER 2007.

19-RAMP WILLIAM JOHN.DURKHEIM AND PARSONS. A STUDY IN THE POLITICAL DISCOURS OF SOCIAL THEORY PHD YOUR UNIVERSITY CANADA VOL 53-9A-1991

20HARRIS .Z :DISCOURSE ANALYSIS .LANGAGE TRAD. IN LANGAGE N13.8-45 1969

21-MALDIDIER D :L'INQUIETUDE DU DISCOUR, TEXTE DE MICHEL PECHEUX EDITION DES CENDRE PARIS 1990P89

22-GHIGLIONE R,MATALON B,BACRI N :LES DIRES ANALYSES-LANALYSE PROPOSITIONNELLE DU DISCOUR PUF PARIS 1985 P

مواقع الانترنات

-

LRAAI.BLOGSPOT.COM

EJABET GOOGLE.COMتاريخ المقاهي–

صحيفة تسجيل المواقف

1 – المكـــــان (اسم المقهى):

2 – الزمـــــان:

3 – المشاركون في الموقف:

م	مكان الإقـــامة	المستوى التعليمي	المهنـــة	ملاحظـــة
1				
2				
3				
4				
5				

4 – مضمون الخطاب (موضوع الحديث)

.....

.....

.....

5 – خلاصة و تعليق الباحث:

.....

التعليمات:

1 – يتم تسجيل لقطة بارزة في موقف اتصالي داخل المقهى.

2 – يمكن تسجيل أي لقطة في أي وقت.

3 – تسجيل الاحاديث بصرف النظر عن نوع المشاركين أو ذكر أسمائهم

4 – التقاط الموضوع الذي نال اكبر قسط من الوقت.

أ. لا يتم التسجيل أثناء الحديث بل بعده.

ب. أن يكتفي الباحث بالاستماع مع عدم التدخل في توجيه الحديث.

ج. يستحسن تدوين الحديث بنفس لغة المتخاطبين.

د . يمكن تعليق أو الخروج الاستنتاجات حول الموقف.

الفـــهـــــرس

الصفحة

الفصل الأول:

دوافع اختيار الموضوع..... 01
مقدمة 02
الاشكالية 08
الاجراءات المنهجية 13
الاساليب المنهجية 13
العينة الميدانية 13
الفرضيات 17

الفصل الثاني:

لمحة تاريخية عن المقهى 18
المقهى كفضاء للخطاب اليومي..... 27
مفهوم الخطاب..... 28
الماركسية و فهم الخطاب 32
البنيوية و فهم الخطاب..... 33
ما بعد البنائية و فهم الخطاب (مؤثرات الخارجية) 33
الخطاب من منظور الوظيفية..... 35
الخطاب من منظور الفينومينولوجية (أولوية الوعي الانساني)..... 37
خبرة الحياة اليومية و فهم الخطاب 38
النظرية النقدية و فهم الخطاب 40

الفصل الثالث:

التحليل الثقافي و توجيه الخطاب..... 42
نظرية النظم و معاني الخطاب..... 46
البنائية اللغوية و الخطاب..... 48
أنماط الخطاب من خلال الرؤية النظرية..... 52
الخطاب و الحياة اليومية..... 56
أ. دلالات المعاش أو اليومي..... 57
ب. مفهوم المعاش أو اليومي..... 58
الواقع الاجتماعي و علم اجتماع الحياة اليومية..... 60
توظيف و استثمار علم اجتماع الحياة اليومية..... 63
المعاش من علم اجتماع الكلي إلى علم اجتماع الجزئي..... 65
العولمة و توجيه الملامح العامة الخطاب داخل المقهى..... 73
الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية. 79

الفصل الرابع:

- تمهيد للدراسة الميدانية..... 86
1. السياقات السوسيوثقافية. لمواضيع خطاب و قضاياه..... 87
- قضايا الرياضة..... 89
- قضايا السياسة..... 92
- قضايا الدين و الاخلاق..... 94
- مواضيع الشغل و العمل..... 94
- المعاملات الادارية..... 96
- قضايا الاسرة..... 97
- غلاء المعيشة و ارتفاع الاسعار..... 98
- قضايا الاعلام..... 101
- قضايا التعليم..... 102
- حوادث مجتمعية 104
- المناخ و الطقس 105
- الهجرة. 106

2 التمثلات كمرجعية اساسية في خطاب المقاهي

3 . عناصر العملية التواصلية و تأثيرها على خطاب المقهى. 111
أ. الفئة العمرية 111
ب. عدد العناصر..... 112

4. معالم انتاج الخطاب من خلال الدراسة الميدانية..... 113
5. أنماط الخطاب التي أفرزتها الدراسة 115
6. البعد الدلالي لبعض العبارات المستقاة من الخطاب داخل المقهى..... 116
7. خلاصة عامة 117
8. الخاتمة 120
9. الملاحق و المراجع 123

ملخـــص البـحـــث

تشكل دراستنا هاته نموذجا حيا من الدراسات الاتنوميتودولوجية التي تتطلع الى البحث في شتى طرائق العيش المندرجة في اطار سوسيولوجية الحياة اليومية التي تعتمد على الوصف والتحليل و التي تاخذ من اللغة والتواصل بين الناس موضوعا وفضاء المقهى ميدانا .كما تعد الدراسة محاولة جادة في رصد شتى الحوامل السوسيوثقافية للمتخاطبين من منطلق الانتماء الاجتماعي ومختلف مرجعياته التي تكرس مختلف الاراء والتصورات في رؤية الواقع وبلورة الحقيقة الاجتماعية داخل الكيان الاجتماعي او لنقل النظام الاجتماعي بكل فاعليه ومؤسساته التي تتجسد فيها كل المشاغل والاهتمامات بما فيها المبتذل (le banal) وعليه فان الدراسة جاءت لتسليط الضوء على المجتمع وهو يتكلم بعفوية وتلقائية عما يحيط به ومايعيشه باسلوب خطابي تقليدي بعيد عن الصرامة المنهاجية والتصنع الموجود في الخطاب الرسمي اذ اردنا من خلال هذا الكشف عن تلك الابعاد الاجتماعية والتطلعات الانسانية للعملية الاتصالية التي هي محل جدل وصراع في معالجة كل المشاكل المجتمعية العالقة بين اللارسمي والرسمي .

ولما كان اختيارنا على المقهى فان ذلك كان عن قصد بناءا على تلك الملاحظة التي تؤكد رحابة هذا الفضاء بما يسع كل الارهاصات التعبيرية الحرة التي يمكن ان نجدها في الشارع او في السوق او في المطعم لكن ليست بنفس الشكل الذي يكتسي ذلك الزخم الخطابي الملفت للانتباه والذي يخوض فيه اكثر من فرد وبقسط كبير من الوقت فيما يتاثر به الفرد والجماعة على حد سواء لحقيقة فحواها تشكيل الادوات الفاعلة في تحقيق المنجزات الحضارية التي من المفترض ان تحقق في الواقع وكذا الوصول الى التحولات التي ينبغي ارساؤها داخل المجال المراد تحقيقه في هذا المجتمع اذ يصبح الخطاب ههنا شكلا من اشكال الممارسة الاجتماعية التي تقابل الممارسة الفعلية التي تتاسس من خلال التصور النظري النابع من الحياة اليومية او المعاش الذي هو ليس بمناى عن الاطار النظامي المحيط به اذ من الواجب كذلك اخضاعه الى شكل من اشكال التحليل الاجتماعي على اعتباره مواكبة صريحة لكل الحوادث والمستجدات التي تندرج في بحر السيرورة و الخصوصية الاجتماعية التي لابد لعلم الاجتماع ان يعطيها حظها بوصفه الاكثر ملاءمة واقحاما في مثل هاته الدراسات رغم صعوبة الماموراية في ايجاد السبل المنهجية وربطها باطراف اخرى يمكن ان يكون لها التاثيرالواضح في طرح اشكال كبير اطرافه المجتمع والفرد واللغة والخطاب واللسان والفضاء واليومي كل هاته مفاهيم لا تزال مستعصية خاصة بالنسبة للباحثين والمهتمين في مجال العلوم الاجتماعية والانسانية. الشيء الذي كان يزيد دائما في مخاوفنا لكنه لم يثني من عزيمتنا في المغامرة والغوض في اعماق ما يسمى بالمعاش وكيفية ترجمته عن طريق الخطاب محاولين قدر الامكان فتح الباب على مصرعيه وشد الاهتمام من اجل وضع الموضوع تحت المجهر من اجل تسيير البحث في الطريق الصحيح الذي يتماشى مع طبيعة الاهداف التي سطرناها واسسنا لها والتي كانت في غالبيتها تصبو الى تخريج المعاني والدلالات السوسيولوجية من المادة الخام

التي هي الخطاب اليومي وما يكتنفه من قضايا مثيرة للجدل واحاديث الناس في لقاءاتهم داخل منبر المقهى كقبلة اجتماعية ومتنفس يلجا اليه الناس في كل حين اضافة الى البحث عن الصور والنماذج التي يتمظهر فيها الخطاب كممارسة تكرس لتحليل المشهد الاجتماعي العام الذي بامكانه رسم المعالم والملامح الاجتماعية التي تبدا من الجزئي الى الكلي وتتمحور بصفة وصفية تفصيلية في نسق استدلالي يسوغ لكيان الموضوع محل الدراسة بكل ما يتاثر به داخليا وخارجيا وفي اطار مرجعي اكثر شساعة وتجريدا من خلال كل ما تم رصده في حيز الملاحظة والتحليل لجميع المضامين التي تتمخض داخل الاتصال الانساني في حيز مكاني مثلته المقهى وتمثله الافراد.من منطلق دلالي منبثق من المبررات والمقومات والغايات المجتمعية بالكشف عن ارتباطاتها بالسياقات الاجتماعيةو الثقافية والسياسية ووغيرها باعتبارها مجالات حية للحياة اليومية هي اقرب ما تكون من اختصاص ما يسمى بسوسيولوجية الاتصال .والملاحظ في كل هذا يرى بان هذا العمل المتواضع هو مزيج ثري يجمع بين اكثر من اختصاص في علم المجتمع اذ يتراوح بين الثقافي والاتصالي واللغوي والاتنوميتودولوجي والحياة اليومية.على هذا الاساس من التصنيف فان بحثنا هذا لا يخل من الصعوبة بماكان لا من الناحية الايبستمولوجية ولا من الناحية المنهجية ونحن لا ننكر ذلك وذلك منذ بداية صولجاننا في اختيار عنوان البحث وصيغة مفاهيمه وتسطير محاوره وليس لدينا امام ذلك سلاح سوى الجراة والذكاء والحكمة في ربط الافكار مع توخي الكثير من الحذروالميل الى التبسيط ومحاولة الابتعاد عن التاويلات الا ما كان يستدعي ذلك وهذا لغاية وحيدة تاتي من حين لاخر على سبيل الشرح او المقارنة بين الاساليب الخطابية للمعبرالذي له اداة اللغة والمعبر عنه الذي هو الموضوع. ولقد جاءت دراستنا هذه مبوبة في اربع فصول هي كالاتي :

- **<u>الفصل الاول</u>**

ككل دراسة اوبحث اكاديمي بدانا عملنا هذا بفصل تمهيدي اشرنا فيه الى الدوافع الذاتية وكذا الموضوعية التي جعلتنا نخوض في هكذا موضوع ثم قمنا بحمله على مقدمة تحدد مجال الدراسة مع طرح السؤال الاولي الذي صغناه في اطار الاشكالية البحثية والتي شكلنا من خلالها نواة هذا البحث المتواضع الذي كان من حين لااخر يشهر بعض الحجج التفسيرية لما في البحث من مفاهيم حيوية لا تقف عند معاني محددة لارتباطاتها الوثيقة بكل انتاجات المجتمع في ماضيه وحاضره ومستقبله حيث اردنا من كل هذا الارتقاء بالبحث من التاليف الى التصنيف الذي بامكانه فك بعض الرموز الدلالية لمختلف السياقات الخطابية.كما حمل الفصل ذاته الوسائل والادوات المنهجية التي تم توظيفها في توجيه البحث نحو الاجابة عن مختلف التساؤلات المطروحة وذلك بمحاولة اختيار المنهج المواتي لمثل هذه الدراسات التي تعتمد على الاستفادة من القدر الهائل من النتائج الميدانية فوجدنا في الملاحظة بالمشاركة الوسيلة الامثل والتي كانت مدعمة بتقنية رصد المواقف لعينة عرضية من اولئك الذين يرتادون المقاهي بالمنطقة كما طورت الدراسة طريقتها المنهجية في تحليل ومعالجة

البيانات في ضوء مدخلها النظري الذي اعتمدت علية استنادا الى اسلوب التحليل الكيفي على اساس المزواجة بين البحث في المضمون الكامن واستعاب النص الظاهرالذي هو في الاخير تمثيل لتفاعلات لفظية داخل الفضاء و بخلفية ثقافية يمكن ان تكون لها فرضياتها القائمة في طبيعة الحياة اليومية نفسها وما يصحبها من تحليل يبدا من المجتمع وينتهي اليه.

- **الفصل الثانـــــي**

– لقد شكل الفصل الثاني في البحث مدخلا مفاهيميا كان محتما علينا من خلاله التطرق الى بعض المفاهيم التي شكلت توابل هذا البحث المتواضع بدا بالمقهى هذا الفضاء الذي نفتخر بان كنا السباقين في وضعه موضوع دراسة وها نحن نقولها صراحة باننا وجدنا المقهى في كل مكان الا على مستوى الدراسات والكتب وهذا ما يمكن ان يكتشفه القارئ لمذكرتنا هاته التي اكتفينا فيها بالاقتصار على مواقع الانترنت التي لمحت للمقهى وفقط والتي نعترف انها لم تكن تفي بالغرض لعمل كان يصبو الى الارتقاء اكثر وان الكتابات النادرة ان لم نقل المنعدمة حول هذا الفضاء زادت من عزيمتنا في فتح ولو نافذة صغيرة امام المهتمين للخوض في هذا الحيز المكاني الذي نقصده كل يوم لظروف اجتماعية ونفسية غير ابهين باهميته البالغة كمنبر اجتماعي نكون فيه في حالة تامل وتعبير عما يجري من حولنا .فاكتفينا باعطاء لمحة تاريخية لها اكثر من دلالة على الدور الهام الذي كانت ولا زالت تلعبه المقهى داخل المجتمعات عبر سائر مراحل التاريخ.

ولما كان الخطاب مادة اخرى في موضوعنا وجدنا انفسنا امام مفهوم معقد لطالما استعمله اللغوي وعالم الاجتماع والسياسي والفيلسوف....الخ ما جعل منا نسعى الى حصره في ما يفيد الدراسة اذ كسبنا صداقة ميشال فوكو والجابري طيلة مشوارنا البحثي وكذا بالاغتراف من بحر الفلسفة الاجتماعية تارة ومن الايبستمولوجية تارة اخرى وكذا استحضار افكار" ديسوسير" في البنوية اللسانية و"جاك ديريدا" و"رولاند بارت" في ما بعد البنائية وماركس في المادية التاريخية.وقبسات الفريد شوتز وميرلوبونتي ومارتن هيدجرفي الفينومينولوجية واولوية الوعي الانساني وشلة كبيرة من المفكرين من امثال لوفبر وقيدنز وغيرهم.الذين كانو دائما يعيدوننا الى مصدر هذا كله وهو خبرة الحياة اليومية التي ينبغي ان نوفر لها القسط الاكبر من التحليل باعتبارها صورة المجتمع الذي ينتج ويعيد انتاج نفسه .

- **الفصل الثالـــــث**

– خصصنا هذا الفصل للتحليل في مستجدات الحياة اليومية لما ترسخت امامنا الفكرة ان وعاء كل الممارسات انما ينشط في اسلوب وممارسات الناس اليومية اذ انها تشكل ذلك الحيز الاجتماعي لمختلف العلاقات التي لم يكن امامنا سبيل فيها بعد دخول الميدان سوى السعي للالمام بمختلف المرجعيات التي يمكن من خلالها فهم وتفسير جميع السلوكات الاتصالية في اطار تحليلي كفيل بصبر اغوارالمجتمع والكشف عن

تطلعاته وهو يتكلم عن نفسه اوما يحيط به باعتباره مؤثرا ومتاثرا لما حوله في ظل معطيات خصوصية داخل منظومة اجتماعية كونية في شكل بنائي شمولي يتكامل فيه ما هو جزئي بما هو كلي يستدعي التحليل والتفسير لما تعبر عنه الجماهير حول طاولات المقاهي كوعاء تصب فيه كامل الخطابات بوصفها ثمرة انتاج اجتماعي له اواصله الثقافية المتجدرة في سيرورة التاريخ الذي لا تصنعه الا الايام المتداولة.
لذا فقد عملنا عل مستوى بحثنا هذا ارساء بعض قواعد ما يسمى باليومي بكل حيثياته لما له من اثر في تحديد نمط الممارسة الاجتماعية في شكله الفعلي والقولي المنطلق من تصوير الواقع الاجتماعي بكل دلالالته ونحن كلنا وعي ان الامر ليس بالسهولة بما كان ان نعطي لهذا الذي يسمى اليومي مفهوما محددا يمكننا ان ننطلق من خلاله في تشكيل كل الحقائق الاجتماعية لان اليومي ليس واحدا عند كل الناس ولا يعني ابدا كما يرى البغض انه ذلك الروتيني بل انه مجال للتغيير المستمر وهو جملة الصور والتجارب الموجهة للتصحيح فهو بحث عن المستقبل.و ركيزة لعلم قائم بذاته هو علج الحياة اليومية الذي يبحث في المقاربات الناشئة عن الروابط الاجتماعية كمستوى ممن مستويات الفهم.
ومن جانب اخر كان لا بد في هذا الفصل من التنويه الى بعض المؤثرات التي كان لها وقعها على الواقع الاجتماعي خاصة في شقه المادي الذي اقحمته العولمة بما اتت به من قيم جديدة فرضت على المجتمع وتمظهرت في حياته الاستهلاكية سائر امور الحياة تاركة وقعها على مستوى الفعل والممارسة على حد سواء.كما تدل عليه جملة المواقف المرصودة.

- الفصل الرابـــــــع

يشكل الفصل الرابع والاخير لمدكرة محطة لمختلف النتائج التي افرزتها دراستنا المتواضعة والهادفة الى بسط جملة الخطابات الدائرة في المقهى باعتبار مضامينه ومحتواها انما يعبر غن دلالات وابعاد اجتماعية منبثقة من المبررات والمقومات والغايات الاجتماعية بارتباطاتها بسياقاتها
المتنوعة.وان الرصد الهائل للمواضيع المثارة داخل فضاء المقهى لمؤشر على انه لم يترك اي مجال من مجالات الحياة الا وكان موضوعا في هذا الخطاب حيث استطاعت الدراسة ان تصنف زهاء 75موضوعا عملت على ترتيبها في شكل نموذجي وهي تعلم بان هدا الترتيب هوترتيب واحد فهو قد يتغير وفق المستجدات اليومية كما سلف وان ذكرنا وبكل ما صادفنا من احداث عجلت بالخوض في هذا الموضوع دون ذك وان الانتقال الى تصنيف جعلنا نستنبط بعضا من انماط الخطاب من ضوء هذه النماذج الخطابية التي هي في تاثر بالزمان والمكان.
ولئن كان التعبير عن الواقع له مبرراته في المسار العام للبحث فان ذلك الترتيب يبدو الاقرب الى الحقيقة عندما نرى انه ينطلق من مواضي الرياضة للنسيان وينتهي بمواضيع الهجرة للهروب وبينهما انشغالالت وهموم.كانت العبارات التي ابينا الا ان نرصدها خلال الجدول اكبر دليل لتطلع خطابي مسعاه التصحيح والارتقاء والبحث عن الذات الاجتماعية.

بعد هذا كانت الحجة ملحة الى ان نضع لهذا البحث خلاصة عامة ثبت فيها الرؤوية بان الحقل الثقافي هو الحقل الاكثر تاثرا بالمتغيرات والتحولات خصوص بعد اشتداد الصراعات الثقافية وطغيان الثقافة المادية التي تجعل المجتمع دائما في حالة النقد والطلب.

وفي الاخير اسدلنا ستار البحث بخاتمة اجتهدنا فيها كثير حتى يكون لنا السبق في اعطاء القيمة الاجتماعية الكبيرة للمقهى وانها فضاء يستحق الدراسة كما نعتزاننا حاولنا ان نشكل تعريفا شخصيا للمقهى نرجو اننا قد وفقنا فيه على ان يستفيد منه المهتمون في القادمات من الدراسات.

نقـــــــد ذاتـــــــــــــي

عندما نكون اول المنتقدين فاننا نقولها ولو بالصمت القليل الحيلة ان بحثنا هو بحث ناقص وما هوسوى فتح لباب صغير لفكرة ذات قيمة ينبغي تطويرها في زمن تتعالى فيه الاصوات وتتصارع فيه الخطابات فهل من مجيب.....

- وللامانة كذلك فان البحيث هذا خاض في الكثير من المفاهيم المستعصية التي التي خلقت بعض الصعوبات الايبستمولوجية اذ كان هذا جليا في كل اطوار البحث.

وفي الاخير فاننا ومن ياتي بعدنا ويريد لهذا البحث الكمال فانه حتما لن ينتهي منه ابدا..... وليس في العلم الحكم بالكمال مادامت الكتب تعد افعالا رمزيةو الفكر نساء مما يقول العارفون.....

الكلمات المفتاحية للبحث

* الفضاء (المقهى)
* الخطاب العفوي او التقليدي.
* الحوامل والدلالات السوسيوثقافية.
* الحياة اليومية او المعاش.
* الواقع والحقيقة الاجتماعية.
* الروابط الاجتماعية و انتاج الخطاب.